# أعمـــالُ القلـوبِ

# فـي الحـجِ والعمرة

قُرئ الكتاب على فضيلة الشيخ

عبد الرحمن بن ناصر البراك حفظه الله

بقلم

عبد الله العنزي

ح عبد الله العنزي، ١٤٣٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العنزي، عبد الله
أعمال القلوب في الحج والعمرة. / عبد الله العنزي.- الرياض، ١٤٣٥هـ
٢٠٦ ص ، ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ٣-٦١٢٦-٠١-٦٠٣-٩٧٨
١- الحج ٢- العمرة أ- العنوان
ديوي ٢٥٢,٥ ١٤٣٥/٨٢٤٣

رقم الإيداع : ١٤٣٥/٨٢٤٣
ردمك: ٣-٦١٢٦-٠١-٦٠٣-٩٧٨

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: -

فالحج والعمرة من العبادات العظيمة التي تصلح بها القلوب لأنهما تشتملان على أهم أعمال القلوب كتوحيد الله وتعظيمه ومحبته والشوق إليه والخوف منه ورجاؤه، والخضوع والتسليم والصبر والتوكل وغيرها من أعمال القلوب التي هي روح أعمال الجوارح وأساسها، وأعمال لا روح لها فهي كالبدن الذي لا روح له.

وقد أمر الله جل وعلا الحجاج بأن يتزودوا للحج بزادين، أحدهما حسي يوصلهم إلى مكة، ويكملوا به حجهم، وآخر معنوي ليوصلهم إلى ربهم فيقبل حجهم، ويخرجهم به من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم، وهو زاد التقوى.

قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وأصل التقوى عمل القلب، قال ﷺ: (**التقوى هاهنا**) ويشير إلى صدره ثلاث مرات[(١)].

وقال ﷺ: (**لتأخذوا مناسككم**)[(٢)].

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٦٤).

(٢) رواه مسلم رقم (١٢٩٧).

فأمر النبي ﷺ أصحابه الكرام رضوان الله عليهم بأن يأخذوا المناسك عنه ﷺ ظاهرًا وباطنًا.

فكما كان يعلمهم كيفية الطواف والسعي وسائر المناسك، كان في الوقت نفسه يعلمهم كيف يطوف الحاج والمعتمر منهم ويسعى معظمًا لربه محبًا له خاضعًا خاشعًا باكيًا... ونحوها من عبادات القلوب.

ومن تتبع أحاديث النبي ﷺ يجد وصف الصحابة رضوان الله عليهم لحجه ﷺ ظاهرًا وباطنًا.

ومن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما واصفًا حال النبي ﷺ في الطواف: (فبدأ بالحجر فاستلمه، وفاضت عيناه بالبكاء)[(١)].

وقال – أيضًا – رضي الله عنه واصفًا حاله ﷺ لما أفاض من عرفات: (أفاض رسول الله ﷺ وعليه السكينة)[(٢)].

ولقد اعتنى أهل العلم بتقرير شعيرة الحج، وعظيم شأنه.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: (أفعال الحج وأقواله كلها أسرار وحكم المقصود منها القيام بالعبودية المتنوعة، والإخلاص للمعبود؛ فالحج مبناه على الحب والإخلاص والتوحيد والثناء والذكر للحميد المجيد، فإنما شرعت المناسك لإقامة ذكر الله)[(٣)].

---

(١) رواه البيهقي في (السنن الكبرى) (٥/٧٤)، وقال ابن كثير في السيرة النبوية (٤/٣١٧)، وهذا إسناد حسن.

(٢) رواه النسائي رقم (٣٠٢٤)، وصححه الألباني في (صحيح سنن النسائي) رقم (٢٨٢٧).

(٣) (مجموع الفوائد واقتناص الأوابد) ص (٢٦٥).

وحقيقة الحج المبرور -الذي جزاؤه الجنة، والذي يخرج صاحبه من ذنوبه كيوم ولدته أمه - وكذلك العمرة المقبولة، أن يتمهما الحاج والمعتمر بتحقيق الإخلاص لله جل وعلا والموافقة لهديه ﷺ، وذلك بأمرين:

١ - القيام بالأعمال الظاهرة، كالإحرام والطواف والسعي والوقوف بعرفة وغيرها.

٢ - القيام بالأعمال الباطنة، وهي أعمال القلوب التي تتصل بكل شعيرة من شعائر الحج والعمرة من محبة لله وتعظيمه وإجلاله والخضوع له والتوكل عليه والتسليم له وغيرها.

والإخلال أو التقصير في أحد هذين الأمرين يضعف أثر الحج والعمرة في النفس، ويقلل من الأجر.

ولما كانت أعمال القلوب بهذه الأهمية، رأيت أن أكتب هذه الرسالة الموسومة بـ (**أعمال القلوب في الحج والعمرة**)، تذكيرًا للناسي وتنبيهًا للغافل لأهمية أعمال القلوب في الحج والعمرة، التي هي أحد أسباب قبولها، والحصول على الأجور المترتبة عليهما.

وقد يسر الله جل وعلا لي بفضله ومنه وكرمه وجوده أن أذكر شعائر الحج والعمرة مرتبة، وأذكر ما يتصل بهما من أعمال القلوب قدر المستطاع، ولا أدعي الاستقراء.

كما يسر الله جل وعلا لي أن أقرأ هذا الكتاب على شيخي الفاضل عبد الرحمن بن ناصر البراك حفظه الله، فكان يرشدني إن

رأى خطأ، كما كان يوجهني أحيانًا بزيادة أو حذف فجزاه الله عني خيرًا.

أسأل الله جل وعلا أن يتقبَّل هذا الكتاب، وأن ينفع به كاتبه وشيخي عبد الرحمن بن ناصر البراك وقارئه، وأن يكون حجة لنا لا علينا، كما أسأله جل وعلا أن يكون خالصًا لوجهه الكريم إنه جواد كريم.

**وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.**

# الفصل الأول

## ( التمهيد للحج والعمرة )

- أهمية أعمال القلوب في الحج والعمرة
- التأهب والتهيؤ قبل السفر للحج والعمرة
- الشوق إلى الحج والعمرة

## أهمية أعمال القلوب في الحج والعمرة

يظن فئام من المسلمين أن أعمال القلوب كالمحبة والخوف والرجاء والإخلاص والصدق والتسليم والخشوع وغيرها من أعمال القلوب هي من الأعمال الفاضلة المستحبة التي إن قام بها المسلم فله أجر ومثوبة، وإن لم يقم بها، أو قصَّر فيها فلا شيء عليه.

فالأجر الكامل – في ظنهم – المترتب على أي عبادة هو خاص بأعمال الجوارح، فمتى ما قام بها العبد ظاهرًا فقد أدى الواجب وأخذ الأجر كاملاً، وأما أعمال القلوب المتصلة بتلك العبادة فإن أتى بها فله أجر، وإن لم يأت بها فلا شيء عليه، وهذا الأمر في الحقيقة غير صحيح.

ذلك أن كل عبادة من ا لعبادات لها جانبان، جانب ظاهر وهي أعمال الجوارح، وجانب باطن وهي أعمال القلوب، وكلاهما داخل في تلك العبادة، كما أنهما سبب في الأجر.

فالتقصير والإخلال بأحدهما تقصير وإخلال في العبادة نفسها، بل إن التقصير في أعمال القلوب قد ينقص الأجر أعظم من التقصير في أعمال الجوارح ذلك أن أعمال القلوب هي الأصل والأساس، وواجباتها أشد وجوبًا من واجبات أعمال الجوارح.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن مكانة أعمال القلوب: (وهي من أصول الإيمان، وقواعد الدين مثل محبة الله ورسوله، والتوكل على الله واخلاص الدين له – إلى أن قال رحمه الله – هذه

الأعمال جميعها واجبة على جميع الخلق – المأمورين في الأصل – باتفاق أئمة الدين)[١].

أهمية أعمال القلوب في الحج والعمرة، فمن ذلك:

١ -إن صدق التعبد لله جل وعلا بأعمال القلوب في شعائر الحج والعمرة تشحذ – بعون الله – همة الحاج والمعتمر للقيام بالأركان والواجبات والسنن على أكمل وجه.

وتعينه كذلك على ترك محظورات الإحرام، واجتناب الرفث والفسوق والجدال.

فالعبادات الباطنة عونًا على العبادات الظاهرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (إذا حسنت السرائر أصلح الله الظواهر، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)[٢].

وإذا قام الحاج والمعتمر بالعبادات الظاهرة والباطنة، فإن ذلك سبيل – بإذن الله تعالى – لقبول الحج والعمرة، وما يترتب عليها من الأجور العظيمة والمنح الربانية.

٢ -إن صدق التعبد لله جل وعلا بأعمال القلوب في شعائر الحج والعمرة سبيل – بعون الله – إلى تغير حال الحاج بعد حجه والمعتمر بعد عمرته إلى حياة إيمانية أفضل، فكم من مفرط حسنت حاله، وكم من

---

(١) (مجموع الفتاوى) (١٠/٥-٦).

(٢) (مجموع الفتاوى) (٣/٢٧٧).

ذي خير ازداد خيرًا، وما ذاك إلا بفضل الله ثم بتحقيق واستشعار أعمال القلوب في تلك الشعائر.

وفي المقابل هناك من يتمُّ حجه أو عمرته، ولكنه لا يرى للحج والعمرة أثرًا في تغير حاله إلى الأفضل، وما ذلك – والله أعلم – إلا لتقصيره في القيام بأعمال القلوب.

ومن الأمثلة على أن للحج والعمرة الأثر الطيب في حياة مؤديهما ما قام به الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى من كتابة عدد من مؤلفاته القيمة – ابتداءً أو إتمامًا – في أثناء مجاورته في مكة، ومن ذلك كتابه المفيد (مفتاح دار السعادة)، حيث ذكر في مقدمته: (إذ كان هذا من بعض النُزُل والتحف التي فتح الله بها عليَّ حين انقطاعي إليه عند بيته، وإلقائي نفسي ببابه مسكينًا ذليلاً، وتعرضي لنفحاته في بيته وحوله بكرةً وأصيلاً، فما خاب من أنزل به حوائجه، وعلق به آماله، وأصبح ببابه مقيمًا وبحماه نزيلاً)[1].

وهذا الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى لما حج بيت الله، وقف في الملتزم وسأل الله تعالى أن يظهر هذا الدين بدعوته، وأن يرزقه القبول من الناس[2].

وغيرهم – ولله الحمد – كثير وكثير، وهذا من رحمة الله وفضله التي لا يحدها شيء ولا يمنعها مانع.

---

(١) (مفتاح دار السعادة) (١/١٢٦) طبعة دار عالم الفوائد.

(٢) انظر (الدرر السنية) (١٢/٨).

٣ -إن صدق التعبد لله جل وعلا بأعمال القلوب في الحج والعمرة – التي هي روح أعمال الجوارح – تجعل الحاج والمعتمر يجد حلاوة الإيمان والأنس والفرح والسكينة والطمأنينة أثناء قيامه بالحج أو العمرة.

والناس ولا شك متفاوتون في ذلك، فبقدر تحقيقهم لأعمال القلوب في حجهم وعمرتهم تكون لذة الإيمان والأنس والفرح والسكينة والطمأنينة في شعائرهم.

## التأهب والتهيؤ قبل السفر للحج والعمرة

إن التأهب والتهيؤ قبل العبادات أمر مطلوب شرعًا سواءً كان حسيًا كالوضوء للصلاة أو السحور للصيام، والإحرام للحج والعمرة وغيرها، أو كان معنويًا ككثرة الذكر والاستغفار والتوبة، واستحضار النية والإخلاص وغيرها.

ولقد كان هذا التأهب والتهيؤ دأب أولياء الله المتقين، بل وصفوته المخلصين، ومن الأمثلة على ذلك:

١ -عندما أراد الله سبحانه وتعالى أن ينزل على موسى عليه السلام التوراة بعد إهلاك فرعون وقومه، وقَّتَ له ثلاثين ليلة ثم أتمها جل جلاله بعشر ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ﴾، فقد ذُكر أنه عليه الصلاة والسلام كان يصوم تلك الأيام ويتعبد الله فيها[1]، تهيئًا لتكليم الله له.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: (فصارت أربعين ليلة، ليستعد موسى ويتهيأ لوعد الله)[2].

٢ -لقد شق صدر النبي ﷺ في صغره وهو في بني سعد، فاستخرج جبريل عليه السلام قلبه، واستخرج منه علقة سوداء، وقال: (هذا حظ

---

(١) انظر (معالم التنزيل) للبغوي (١٤٦/٢)، و(تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (٥٧٢/٢).

(٢) (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) لعبد الرحمن ناصر السعدي ص(٧٠٢) طبعة مؤسسة الرسالة.

الشيطان منك) ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره)[١].

ثم شق صدره ﷺ مرة أخرى ليلة الإسراء والمعراج وغسله جبريل عليه السلام بماء زمزم، وجاء بطست ممتلئ حكمة وإيمانًا فأفرغه في صدره[٢].

قال ابن حجر – رحمه الله – بعد ذكره ثبوت شق صدر النبي ﷺ ثلاث مرات في صغره في بني سعد، وعند البعثة وفي ليلة الإسراء والمعراج، قال رحمه الله: (ولكل منها حكمة، إلى أن قال رحمه الله - ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة)[٣].

ولما كان الحج والعمرة من العبادات العظيمة، ومن ميادين الخير الجليلة، كان لابد للحاج والمعتمر أن يتأهب ويتهيأ قبل السفر إليها والشروع فيهما، وذلك بعدة أمور منها:

١ - التوبة الصادقة بشروطها، مع كثرة الذكر والاستغفار وشروطها هي:

أولاً: ما كان في حق الله جل جلاله:

أ) الاقلاع عن الذنب.

ب) الندم على فعله.

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٦١).

(٢) رواه البخاري رقم (٣٨٨٧)، ومسلم رقم (١٦٣، ١٦٤).

(٣) (فتح الباري) (٢٠٥/٧).

ج) العزم على عدم العودة إليه.

ثانيا: ما كان في حق الآدميين: أن يرد المظالم إلى أهلها، إن كان لأحد عليه مظلمة من مال أو عرض أو غيبة أو بهتان أو نميمة أو غيرها.

٢ - استشعار فضل الحج والعمرة، وما يترتب عليهما من الأجور العظيمة، ليقوى الرجاء والعزم على ا لقيام بهما.

٣ - مجاهدة النفس في حفظ القلب عن الخواطر والشواغل مع حفظ الجوارح عن اقتراف الذنوب والمعاصي قبل الحج والعمرة وأثناء القيام بهما.

فإن غالب العبادات كالحج والعمرة والصلاة والصيام يكون القلب في بداياتها فرحًا مطمئنًا، ولكن مع مرور الوقت يخفت هذا الفرح وتلك الطمأنينة وذلك لما يرد على القلب من شواغل وخواطر ومكدرات قبل وأثناء أداء تلك العبادات والله المستعان.

وعودًا على ذي بدء فإن من تأهب للحج والعمرة وتهيأ لهما كما ينبغي، فحري به – بعون الله – أن يستشعر أعمال القلوب لكل شعيرة من شعائر الحج والعمرة، وأن يقوم بها على أكمل وجه، مع ما يناله من لذة العبادة وطمأنينتها.

## الشوق إلى الحج والعمرة

الشوق إلى الله جل جلاله من أعمال القلوب، إذ هو أثر من آثار المحبة[١]، فكلما زادت محبة الله جل وعلا في قلب العبد زاد شوقه لربه، وكلما نقصت المحبة وضعفت بسبب الذنوب والمعاصي ضعف الشوق في قلبه.

ومحبة الله جل وعلا والشوق إليه قد فُطرت عليها قلوب المؤمنين، ولكنها تزيد بالطاعات والإيمان وتنقص وتضعف بالذنوب والعصيان.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (وما من مؤمن إلا وفي قلبه محبة لله تعالى، وطمأنينة بذكره، وتَنَعُّمٌ بمعرفته، ولذةٌ وسرورٌ بذكره، وشوقٌ إلى لقائه، وأنسٌ بقربه، وإن لم يحسَّ به، لاشتغال قلبه بغيره، وانصرافه إلى ما هو مشغول به، فوجود الشيء غير الإحساس والشعور به.

وقوة ذلك وضعفه وزيادته ونقصانه، هو بحسب قوة الإيمان وضعفه وزيادته ونقصانه)[٢].

وعلى هذا فالناس متفاوتون في الشوق إلى الله جل وعلا بقدر إيمانهم ومحبتهم لله جل جلاله، ويترتب على ذلك شعورهم بالطمأنينة واللذة والإنس بالله بقدر ما في قلوبهم من إيمان ومحبة وشوق له جل وعلا.

والشوق إلى الله جل جلاله من أعلى مقامات العبد وأرفعها وينقسم إلى قسمين:

---

(١) انظر (مدارج السالكين) (٥١٢/٣).

(٢) (إغاثة اللهفان) (٩٤٨/٢) طبعة دار عالم الفوائد.

١ -شوق إلى الله جل جلاله، وذلك بالشوق إلى لقائه في الآخرة، قال ﷺ: (**وأسألك الشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة**)[(١)].

٢ -شوق إلى الله جل جلاله، وذلك بالشوق إلى قربه بالمسارعة إلى العبادات مشتاقًا وفرحًا بلقاء ربه والقرب منه. قال ﷺ عن الصلاة: (**أرحنا بها يا بلال**)[(٢)]، وقال عليه الصلاة والسلام: (**جعلت قرة عيني في الصلاة**)[(٣)].

وقال عليه الصلاة والسلام عن الجهاد في سبيل الله: (**والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغزوا في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل**)[(٤)].

ويدخل في هذا القسم الثاني شوق المؤمنين إلى الحج والعمرة.

فالمؤمنون تحن قلوبهم وتشتاق أنفسهم إلى بيت الله الحرام وما حوله من بقاع مباركة، رغم أنها (بوادٍ غير ذي زرع)، فلا أجواء خلابة

---

(١) رواه الإمام أحمد رقم (١٨٣٢٥) والنسائي رقم (١٢٢٩) وصححه الألباني في (صحيح سنن النسائي) رقم (١٢٣٧).

(٢) رواه الإمام أحمد (١٢٨/٣، ١٢٩) والنسائي (٦١/٧) وصححه الألباني في (صحيح سنن النسائي) رقم (٣٦٨٠).

(٣) رواه أبو داود رقم (٤٩٨٥-٤٩٨٦) وصححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود) رقم (٤١٧١-٤١٧٢).

(٤) رواه البخاري رقم (٢٧٩٧).

تأسرهم، ولا أنهار وأشجار تجذبهم، ولعل هذا مما يجرِّد نياتهم وقصدهم لله وحده، فالحج والعمرة رحلة إيمانية وليست نزهة دنيوية، في بقاعها شعائر ومشاعر، وألطاف ونوادر، رحمات ربانية، ومعانٍ إيمانية لا تجتمع إلا في هذه البقعة المباركة.

والشوق إلى بيت الله الحرام، والحنين لتلك البقاع المباركة فطرت عليه قلوب المؤمنين وذلك لأسباب منها:

١ - إضافة الله جل وعلا هذا البيت لنفسه المقدسة، وذلك في قوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾. يقول ابن القيم في معرض ذكره لعلامات المحبة وشواهدها: (ومنها: محبة دار المحبوب وبيته، حتى محبة الموضع الذي حلَّ به، وهذا هو السرُّ الذي لأجله عكفت القلوب على محبة الكعبة البيت الحرام -إلى أن قال رحمه الله - وسرُّ هذه المحبة هي إضافة الرب سبحانه له إلى نفسه بقوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ (الحج: ٢٦)[(١)].

٢ -قد جعل الله جل وعلا بيته العظيم (مثابة للناس) يثوبون إليه؛ كلما صدروا عنه اشتاقوا إليه فرجعوا إليه من جديد.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

(أي مرجعًا يثوبون إليه، لحصول منافعهم الدينية والدنيوية، يترددون إليه ولا يقضون منه وطرًا)[(٢)].

---

(١) (روضة المحبين) ص (٣٧٨-٣٧٩) طبعة دار عالم الفوائد.

(٢) (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ص (٦٥).

٣ - دعوة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في حكاية الله جل وعلا عنه في قوله تعالى: ﴿ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

قال البغوي رحمه الله تعالى: (قال مجاهد: لو قال أفئدة الناس لزاحمتكم فارس والروم والترك والهند، وقال سعيد بن جبر: لحجَّت اليهود والنصارى والمجوس، ولكنه قال: (أفئدة من الناس) وهم المسلمون)[1].

وهذا الشوق الذي فطرت عليه قلوب المؤمنين له عدة فوائد منها:

أولاً: يخفف على الحجيج والمعتمرين ما يجدون من مشقة وتعب في الوصول إلى مكة، أو أثناء قيامهم بأعمال حجهم وعمرتهم وتنقلهم من مشعر لآخر.

ثانيًا: الشوق للحج والعمرة من أسباب استشعار الطمأنينة واللذة في أعمال الحج والعمرة، لأن من كانت هذه حاله جاء مشتاقًا إلى الله مقبلاً عليه محبة وتعظيمًا، مع ما في قلبه من خوف ورجاء.

وهنا وقفة قبل نهاية هذا المبحث:

إن محركات القلوب إلى الله جل وعلا، وإلى التقرب إليه بالأعمال الصالحة، ثلاثة: هي المحبة والخوف والرجاء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (اعلم أن محركات القلوب إلى الله عز وجل ثلاثة المحبة والخوف والرجاء، وأقواها المحبة

---

(١) (معالم التنزيل) (٢/٥٦٥).

وهي مقصودة تُراد لذاتها، لأنها تراد في الدنيا والآخرة بخلاف الخوف فإن يزول في الآخرة)[١].

ولا شك أن الناس متفاوتون في محركات قلوبهم إلى الله جل وعلا وإلى طاعته، فمنهم من تحركه المحبة والشوق أعظم من تحريك الخوف والرجاء مع وجودها في قلبه، وغيره قد يحركه الخوف أو الرجاء أعظم من تحريك المحبة والشوق مع وجودها في قلبه.

وعلى هذا فمن أتى للحج والعمرة محبة لله جل وعلا وشوقًا إليه مع ما في قلبه من خوفٍ لله ورجائه، أعظم حالاً ممن أتى للحج والعمرة خوفًا من ترك ركن من أركان الإسلام أو واجبٍ من واجباته، وكذلك أعظم حالاً ممن أتى للحج والعمرة رجاء ثواب وغفران ذنوب.

---

(١) (مجموع الفتاوى) (١/٩٥).

# الفصل الثاني

## ( أعمال القلوب في الحج والعمرة )

- المواقيت.
- الإحرام من الميقات.
- (لبيك الله لبيك).
- السر في أن الحجاج والعمَّار وفد الله جل وعلا وضيوفه.
- سرُّ (الله أكبر) في الحج والعمرة.
- محظورات الإحرام.
- البيت العتيق حرمته والطواف به.
- الحجر الأسود.
- مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام والصلاة خلفه.
- السعي بين الصفا والمروة.

## المواقيت

لقد جعل الله جل وعلا المواقيت المكانية كالحمى للحرم والبيت العتيق؛ فكأن الكعبة المشرفة درة مصونة حفظت في صدفة الحرم، والحرم حُفِظَ في حمى المواقيت، فلا يجوز لمن أراد الحج والعمرة تجاوزها إلا بالإحرام منها.

ومن رحمة الله جل وعلا أن جعل المواقيت محيطة بالحرم من كل الجهات، ليسهل على الحجاج والمعتمرين الإحرام منها من أي جهة جاؤوا.

وهي خمس مواقيت، أربع منها وردت في حديث ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال: (وقت رسول الله ﷺ لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرنًا، ولأهل اليمن يلملم، وقال: **(هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج والعمرة، ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ، حتى أهل مكة من مكة)**[(١)].

وأما الخامس فقد ورد في حديث ابن عمر: (أن أهل العراق أتوا عمر، فقالوا: يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ حدَّ لأهل نجد قرنًا، وهو جورٌ عن طريقنا، قال: انظروا حذوها من طريقكم، فحدَّ لهم ذات عرق)[(٢)].

وللحاج والمعتمر مع المواقيت معان عظيمة منها:

١ - المواقيت وما فيها من اغتسال وتنظف وإحرام وتلبية وذِكْرٍ تُهْيِئُ قلب الحاج والمعتمر ليكون مستعدًا مقبلاً على هذه العبادة العظيمة.

---

(١) رواه البخاري رقم (١٥٢٤)، ومسلم رقم (١١٨١).

(٢) رواه البخاري رقم (١٥٣١).

٢ -تحريك محبة الله جل وعلا والشوق إليه مرة بعد مرة، وذلك أن الحجاج والمعتمرين أتوا من كل فج عميق، وقد كانت المحبة والشوق تحدوهم وتبعث هممهم كلما كلوا وتعبوا، ولتجديد هذه المحبة وذلك الشوق، وشحذهما في القلوب كان هناك ميدان آخر ألا وهو الميقات، فالمواقيت علامة على قرب الحجاج والمعتمرين من الحرم والبيت العتيق.

٣ -الهيبة والإجلال والتعظيم فكل هذه المعاني الإيمانية تملأ القلب كلما قرب الحاج والمعتمر من حرم الله والبيت العتيق.

فلك أن تتخيل مسافة قَصْرٍ فأكثر وقلوب الحجيج والعُمَّار بين معاني المحبة والشوق ومعاني الهيبة والإجلال والتعظيم، حيث المحبة والشوق تحدوها، والهيبة والإجلال والتعظيم تغشاها، حينها لا تسل عن الفرح والسرور والطمأنينة والأنس يخالطها الخشوع والبكاء الذي يغشى الحجيج والعُمَّار عند وصولهم حرم الله وأما رؤيتهم لبيت الله العتيق فشأن آخر تعجز المعاني عن أن تصفها والكلمات أن تعبر عنها.

يقول أحد الأدباء واصفًا رحلته في الحج: (فقد أحرم جميع الحجاج الذين في الباخرة، وارتفعت الأصوات من كل جهة: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك" فاستشعر الناس من الخشوع في أثناء ضجيج الحجيج هذا ما اتصل بأعماق القلوب، وتغلغل في سرائر النفوس)[1].

(١) نقلاً عن كتاب (الشوق والحنين إلى الحرمين) تأليف: محمد بن موسى الشريف ص (٢٥) وما بعدها.

## الإحرام من الميقات

الإحرام من الميقات من مناسك الحج والعمرة وشعائرهما الخاصة، وحقيقته نية الدخول في النسك، ويستحب قبله التجرَّد من المخيط ولبس الإزار والرداء بالنسبة للرجال، وأما المرأة فتحرم بثيابها التي لا زينة فيها.

ولبس الإزار والرداء مما يميز الحج والعمرة عن سائر العبادات، إذ ليس للعبادات لباس معين وزي خاص عدا الحج والعمرة، ولهذه الخصوصية معانٍ عدة منها:

أن تجرد الحاج والمعتمر من المخيط، ولبسه الإزار والرداء يذكره بلبس أكفانه عند الموت، وتجرده من كل شيء في هذه الحياة الدنيا، وإقباله على ربه جل وعلا يوم القيامة وحيدًا فريدًا.

يقول ابن قدامة رحمه الله تعالى: (ومن ذلك: أن يتذكر وقت إحرامه وتجرده من ثيابه، إذا لبس المحرم الإحرام لبس كفنه، وأن سيلقى ربه على زي مخالف لزي أهل الدنيا)[1].

ولعل من الموافقات والتشابه بين الإزار والرداء وأكفان الميت أن الله جل وعلا بدأ سورة الحج بالحديث عن يوم القيامة وأهوالها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾[الحج: ١].

فلعلَّ هذا – والله أعلم – مما يبين نوع ا لترابط بين الحج ومشاهده ويوم القيامة ومشاهدها[2]، فإن كان الموت ولبس الأكفان هو بداية

(١) (مختصر منهاج القاصدين) لابن قدامه ص (٥٤).

(٢) انظر (من وحي الحج) من إصدارات البحوث والدراسات في مجلة البيان ص (٦٤-٦٥).

قيامة كل إنسان، فالإحرام بالتجرد من المخيط ولبس الإزار والرداء بداية مشاعر الحج والعمرة وفي هذا تناسب وترابط والله تعالى أعلم.

وإن كان الميت يُجرد من ملابسه ويُلبس أكفانه، ويقبل على ربه جل وعلا، فإن الحاج والمعتمر هو من يتجرد من ثيابه، ويلبس إزاره ورداءه، ويقبل على ربه جل وعلا.

ومتى ما عايش الحاج والمعتمر هذه المعاني في قلبه أو استشعرها حقًا، فإنها تقوي ما فيه من إيمان بما سيلاقيه أمامه من الموت وسكراته، والقبر ونعيمه أو عذابه.

وما سيلاقي أمامه من القيامة وأهوالها، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[الحج: ٢].

وما سيلاقي أمامه من ميزانٍ، وتطاير صحفٍ، ومرورٍ على الصراط، وبعد ذلك إما إلى الجنةٍ، وإما إلى النار، نسأل الله العافية.

قال ﷺ: (**الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك**)[1].

وكلما زاد إيمان العبد بما سيلاقيه أمامه أوصله ذلك إلى درجة اليقين، وذلك بأن يصبح ما يؤمن به من الغيب كالشهادة، كما قال

(١) رواه البخاري رقم (٦٤٨٨).

حنظلة الأسَيِّديِّ رضي الله عنه: (نكون عند رسول الله ﷺ يذكِّرنا بالنار والجنة، حتى كأنَّا رأي عين)[١].

فإن لم يكن يرى الجنة والنار بعيني رأسه، فإنه يراهما بعيني قلبه.

واليقين من أعمال القلوب التي ينبغي للمؤمن القيام بها، والسعي في تحصيلها.

قال سفيان الثوري رحمه الله: (لو أن اليقين استقر في القلب كما ينبغي لطار فرحًا وحزنًا وشوقًا إلى الجنة، أو خوفًا من النار)[٢].

فـ "اليقين" روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح، وهي حقيقة الصديقية، وهو قطب هذا الشأن الذي عليه مداره.

ومتى وصل "اليقين" إلى القلب امتلأ نورًا وإشراقًا، وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط، وهم وغم، فامتلأ محبة لله، وخوفًا له ورضى به وشكرًا له، وتوكلاً عليه، وإنابة إليه، فهو مادة جميع المقامات والحامل لها[٣].

ويضعف اليقين في قلب العبد بالغفلة عما سيلقى أمامه، فما يزال ساهيًا لاهيًا فيه مشتغلاً بأمور دنياه غارقًا فيها، لا يعطي أمور دينه إلا النزر اليسير من وقته على عجلة منه، وهذه حال فئام من المسلمين عافانا الله جميعًا من الغفلة.

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٧٥٠).

(٢) (حلية الأولياء) (١٧/٧).

(٣) انظر (مدارج السالكين) لابن القيم (٢٢٠/٣) باختصار.

ويزداد الأمر سوءًا إذا اقترن مع الغفلة شبهة، وذلك بأن كثيرًا ممن استمرئ بعض المعاصي وصارت عادة له وطبعًا، إذا ما ذكرته بتقصيره في جنب الله جل وعلا، وذكرته بما سيلاقي أمامه وأنها حقائق ستمر على كل إنسان ذكرًا كان أم أنثى، مسلمًا كان أم كافرًا.

اعتذر لنفسه بشبهة: (أنه يحسن الظن بالله، ويرجو غفران ذنوبه).

وما علم هذا أن حسن الظن بالله، وصدق رجائه جل وعلا لا يكون إلا مع إحسان العمل. قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

فالعبد يحسن العمل ويرجو القبول والثواب عليه، وإن وقع في الخطأ والزلل تاب واستغفر ورجى قبول التوبة والغفران.

## ( لبيك اللهم لبيك )

التلبية هي شعار الحج، وعلامته الدالة على توحيد الله جل وعلا؛ الذي هو روح الحج والمقصود منه، بل روح العبادات كلها والمقصود منها.

ومما يدل على هذا المعنى قول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن التلبية حين قال: (فأهلَّ رسول الله ﷺ بالتوحيد، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك)[١].

يقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى عن التلبية: (تلك التلبية تملأ قلب متدبرها إيمانًا وتوحيدًا، وتجرِّده من الحظوظ والأهواء تجريدًا، وتعدُّه لزيارة بيت الله والطواف، وهو في أحسن حال وأتم استعداد)[٢].

### معنى التلبية:

وللتلبية معان عدة منها ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فيقول: (والملبي: هو المستسلم المنقاد لغيره، كما ينقاد الذي لُبِّبَ وأُخذ بلبِّه[٣]، والمعنى: إنَّا مجيبوك لدعوتك، مستسلمون لحكمتك، مطيعون لأمرك مرة بعد مرة، لا نزال على ذلك)[٤].

---

(١) رواه مسلم رقم (١٢١٨).

(٢) (رحلة الحجاز) نقلاً عن (الشوق والحنين إلى الحرمين) تأليف محمد بن موسى الشريف ص (٣٧).

(٣) أي بمجامع ثوبه.

(٤) (مجموع الفتاوى) (١١٥/٢٦).

**حقيقة التلبية:**

إن الحاج والمعتمر حين يلبي فيقول: (لبيك اللهم لبيك..)، هو في الحقيقة يجيب دعوة الله جل وعلا لعباده بالحج والعمرة لبيته الشريف، حينما أمر الله جل وعلا أبانا إبراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[الحج: ٢٧].

يقول الإمام مجاهد بن جبر رحمه الله تعالى في قوله: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾: (قام إبراهيم على مقامه فقال: يا أيها الناس أجيبوا ربكم، فقالوا: لبيك اللهم لبيك، فمن حج اليوم فهو ممن أجاب إبراهيم يومئذ)[(١)].

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى: (أي أعلمهم به، وادعهم إليه، وبَلِّغْ دانيهم وقاصيهم، فرضه وفضيلته، فإنك إذا دعوتهم، أتوك حجاجًا وعُمَّارًا)[(٢)].

وللحاج والمعتمر مع التلبية حكم وأسرار منها:

١) عندما لبس النبي ﷺ لباس الإحرام في حجة الوداع، وأراد التلبية والدخول في النسك، دعا ربه جل وعلا فقال: (**اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة، لبيك اللهم حجة وعمرة**)[(٣)].

---

(١) (تفسير الطبري) (٥١٦/٢٦) طبعة دار عالم الكتب.

(٢) (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ص (٥٣٧).

(٣) رواه ابن ماجه رقم (٢٨٩٠)، وصححه الألباني في (صحيح سنن ابن ماجه) رقم (٢٢٣٧).

فالنبي ﷺ في هذا الحديث الشريف يبين لنا أهمية الإخلاص في الحج والعمرة، وأن على الحاج والمعتمر تجديد النية وإخلاص العمل عند الشروع في الحج والعمرة مع الحذر من كل شيء يناقض الإخلاص أو يضعفه في القلب، مع سؤال الله جل وعلا التوفيق إلى ذلك، كي يكون الحج والعمرة خالصة لله جل وعلا، وأن تكون التلبية بصدق واخلاص.

قال تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

يقول الشيخ عبد الرحمن الدوسري رحمه الله: (فيها الأمر الصريح من الله للمسلمين بالإخلاص في إتمام الحج والعمرة على الوجه الأكمل)[1].

والإخلاص من أهم أعمال القلوب، بل يُعد عُمدة أعمال القلوب، وأساس صلاح السريرة، حيث أن جُلَّ الأعمال القلبية المحبوبة لله عز وجل تعود إلى صفة الإخلاص[2].

ويتبين أهمية الإخلاص في عدة أمور منها:

أ) أن الإخلاص لله جل وعلا، ومتابعة النبي ﷺ هما شرطي قبول الأعمال، فإذا أخلَّ العبد بأحد هذين الشرطين لم يقبل العمل.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[الملك: ٢].

قال الفضيل بن عياض عن معنى: {أحسنكم عملاً}.

هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصًا، ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم

(١) (الحج أحكامه أسراره – منافعه) ص (٤٣).

(٢) انظر (يوم تبلى السرائر) للشيخ عبد العزيز الجليل، ص (٦٢).

يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا؛ والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠][1].

ب) أن تفاضل أعمال العباد عند الله جل وعلا والثواب عليها يكون على قدر الإخلاص وتحققه في الأعمال.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (فإن الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلب من الإيمان والإخلاص، وإن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحدًا، وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض)[2].

جـ) أن الإخلاص يضاعف الأعمال وإن كانت صغيرة:

قال تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾[النساء: ٤٠].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله عن هذه الآية: (أي إلى عشرة أمثالها، إلى أكثر من ذلك، بحسب حالها ونفعها، وحال صاحبها إخلاصًا ومحبة وكمالاً)[3].

د) أن الإخلاص إذا تحقق في عمل وإن كان صغيرًا أو يسيرًا فإنه يكون سببًا لتكفير الكبائر، وسببًا – كذلك – لدخول الجنة.

يقول ابن تيمية في هذا الشأن: (والنوعُ الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله، فيغفر الله له به كبائر، كما في الترمذي وابن ماجة وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن

---

(١) (مدارج السالكين) (٢/٣١٠).

(٢) (منهاج السنة) (٦/٢٢١-٢٢٢).

(٣) (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ص (١٧٩) طبعة مؤسسة الرسالة.

العاص عن النبي ﷺ أنه قال: (**يُصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فينشر عليه تسع وتسعون سجلاً، كل سجل منها مدَّ البصر، فيقال: هل تنكر من هذا شيئًا؟ فيقول: لا يارب، فيقول: لا ظلم عليك، فتخرج له بطاقة قدر الكف، فيها شهادة أن لا إله إلا الله، فيقول: أين تقع هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فتوضع هذه البطاقة في كفة، والسجلات في كفة، فثقلت البطاقة وطاشت السجلات**)[(١)]. فهذه حالُ من قالها بإخلاص وصدقٍ، كما قالها هذا الشخص، وإلا فأهل الكبائر الذين دخلوا النارَ كلهم يقولون: لا إله إلا الله، ولم يترجح قولهم على سيئاتهم، كما ترجح قولُ صاحب البطاقة)[(٢)].

ثم ذكر ابن تيمية حديث البغيّ التي سقت كلبًا فَغَفَرَ الله لها، والرجل الذي أماط الأذى عن الطريق فَغَفَر الله له ثم قال: (فهذه سقت الكلب بإيمان خالص كان في قلبها فغفر لها، وإلا فليس كلُّ بغيّ سقت كلبًا يُغفر لها، وكذلك هذا الذي نحَّى غصن الشوك عن الطريق، فعله إذ ذاك بإيمان خالص، وإخلاص قائم بقلبه، فغُفر له بذلك، فإن الأعمال تتفاضلُ بتفاضل ما في القلب من الإيمان والإخلاص)[(٣)].

وفي مقابل هؤلاء يُؤتى يوم القيامة بأُناس جاؤا بأعمالٍ كأمثال الجبال؛ فهذا عالم وحافظ للقرآن، وآخر أنفق ماله، وآخر قتل في سبيل الله، ولكن لما خلت أعمالهم من الإخلاص وكانت لغير وجهه جل وعلا

---

(١) رواه الترمذي (٤/١٢٣-١٢٤) والإمام أحمد (١١/١٩٧-٢٠٠) وقال الشيخ احمد شاكر (إسناده صحيح).

(٢) (منهاج السنة) (٦/٢١٨) وما بعدها.

(٣) (منهاج السنة) (٦/٢٢١).

-رياءً وسمعةً وحب الظهور – كان أصحابها نسأل الله العافية أول من تسعر بهم النار[١].

٢) ينبغي للحاج والمعتمر عند التلبية أن يستحضر في قلبه الصدق مع الله جل وعلا في تلبيته، كي لا تكون مجرد قول باللسان لا معنى لها في واقعه ولا في سلوك حياته؛ وذلك بأن يستشعر حقيقة التلبية: وأنها إجابة دعوة الله جل وعلا بالانقياد والتسليم لحكمته، وطاعة أوامره مرة بعد مرة، والدوام على ذلك.

وثمة مثال يوضح ذلك – ولله المثل الأعلى – لو أن ملكًا طلب من أحد رعيته زيارته في قصره ليغدق عليه بعض الهدايا والتحف، فأجابه بقوله: (لبيك)، ثم أتاه وهو منصرف عنه بوجهه وقلبه، مستمر على مخالفة أمره، فما تظن أن يفعل به؟!!.

يقول ابن رجب رحمه الله تعالى: (وإن قال ذلك ثم خالفه بعمله، فقد كذَّب عملُه قولَه، وهو جدير أن يُجاب كما يُجاب من حج بمال حرام، وقال: لبيك اللهم لبيك، فيقال: لا لبيك ولا سعديك)[٢].

والصدق مع الله جل وعلا من أجل أعمال القلوب وأعظمها.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (والإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب؛ فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر.

---

(١) أصله حديث رواه مسلم رقم (١٩٠٥)، والترمذي رقم (٢٣٨٣).

(٢) (مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي) (١/١٠١)، دراسة وتحقيق أبي مصعب طلعت بن فوائد الحلواني، الناشر الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

وأخبر سبحانه: أنه في يوم القيامة لا ينفع العبد وينجيه من عذابه إلا صدقه، قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[المائدة: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[الزمر: ٣٣]، فالذي جاء بالصدق: هو من شأنُهُ الصدقُ في قوله وعمله وحاله)[١].

ويقول ابن قدامة رحمه الله تعالى عن أقسام الصدق، وذكر منها:

أ) الصدق في القول، فحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه، ولا يتكلم إلا بالصدق، وينبغي أن يراعي معنى الصدق في ألفاظه التي يُناجي بها ربه، كقوله: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض، فإن كان قلبه منصرفًا عن الله مشغولاً بالدنيا فهو كاذب.

ب) الصدق في الأعمال، وهو أن تستوي سريرته وعلانيته.

جـ) الصدق في مقامات الدين، وهو أعلى الدرجات، كالصدق في الخوف والرجاء والزهد والرضى والحب والتوكل)[٢].

٣) إن الحاج والمعتمر إذا دخل في نسكه، وقال (لبيك اللهم لبيك)؛ فإما يرد عليه بالقبول فيقال له: (لبيك وسعديك)، وإما يرد عليه بعدم القبول، فيقال له: (لا لبيك ولا سعديك). نسأل الله العافية، وذلك بحسب حال الملبي.

---

(١) (مدارج السالكين) (٣/٧).

(٢) انظر( مختصر منهاج القاصدين) ص (٣٩٥-٣٩٦) باختصار.

يقول ابن قدامة رحمه الله تعالى: (وإذا لبى فليستحضر بتلبيته إجابة الله تعالى إذ قال: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾، وليرجُ القبول، وليخش عدم الإجابة)[١].

وهذا الأمر يجعل الحاج والمعتمر بين الخوف والرجاء، رجاء أن يرد عليه: (لبيك وسعديك)، وخوف أن يرد عليه: (لا لبيك ولا سعديك)، لأن التلبية بداية لنسك عظيم، وما يرد عليه فيها له ما بعده من التوفيق والقبول أو غير ذلك.

ولهذا كان بعض السلف الصالح رحمهم الله تعالى على ما فيهم من تقوى وصلاح يخشون أن يرد على تلبيتهم بعدم القبول.

فعن علي بن الحسين – زين العابدين – أنه حج، فلما أحرم واستوت به راحلته، اصفرَّ لونه وارتعد، ولم يستطع أن يلبي، فقيل: مالك لا تلبي؟ فقال: أخشى أن يقول لي: لا لبيك ولا سعديك[٢].

وقال بعض التابعين: رُبَّ محرم يقول: (لبيك اللهم لبيك) فيقول الله: لا لبيك ولا سعديك هذا مردود عليك[٣].

ولما كان الأمر بهذه الأهمية وجب على الحاج والمعتمر أن يعد لهذا الموقف عدته من التوبة الصادقة من الذنوب الظاهرة والباطنة، وأن يكون حجه وعمرته بمال حلال، وأن يهيئ قلبه بالخضوع والذل والانكسار والتعظيم لله جل وعلا، وأن تكون تلبيته عن صدق

---

(١) المصدر السابق، ص (٥٤).

(٢) انظر (القِرى لقاصد أم القُرى) لمحب الدين الطبري ص(١٧٨).

(٣) انظر (كتاب لطائف المعارف) لابن رجب ص (٢٦٤).

وإخلاص، فمن كانت هذه حاله فيرجى أن يرد عليه (لبيك وسعديك) فإن الله جواد كريم لطيف شكور.

قيل لابن عمر ما أكثر الحاج! قال: ما أقلهم، وقال: الركب كثير والحاج قليل[١].

وقال ابن رجب: (احذروا المعاصي فإنها تحرم المغفرة في مواسم الرحمة)[٢].

٤) على الحاج والمعتمر عند التلبية أن يستحضر معناها وفضلها، فإن هذا مدعاة للإكثار منها بخشوع وتدبر، قال ﷺ: (**ما من مسلم يلبِّي إلا لبَّى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر؛ حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا**)[٣].

---

(١) المصدر السابق، ص (٧٣).

(٢) المصدر السابق، ص (٢٩٧).

(٣) رواه الترمذي رقم (٧٥٧) وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٥٧٧٠).

## السر في أن الحجاج والعمار وفد الله جل وعلا وضيوفه

قال ﷺ: (**الحجاجُ والعُمَّارُ وَفْدُ اللّٰه، دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم**)[1].

والسِرُّ في ذلك أنه جل وعلا لما دعاهم إلى بيته على لسان خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام فأجابوا دعوته بقولهم: (لبيك اللهم لبيك)؛ فصاروا بذلك وفد اللّٰه وضيوفه.

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه اللّٰه تعالى: (فلو لم يكن فيها من الحكم إلا أن حقيقة الحج استزارة الرب لأحبابه، وأنه أوفدهم إلى كرامته ودعاهم إلى فضله وإحسانه، ليسبغ عليهم من النعم والكرامات وأصناف الهبات ما لا تدركه العبارة، ولا يحيط به الوصف)[2].

واستحضار وشعور الحاج والمعتمر أنه وفد الرحمن وضيفه لها معان منها:

١ -عندما يستحضر ويستشعر الحاج والمعتمر أنه وفد اللّٰه جل وعلا وضيفه حقًا حينها سيجد أن حلاوة الإيمان تغمر قلبه، والفرح والسرور يملآن صدره، وسيجد اللذة والأنس بمناجاته، ذلك أنه ضيف عند ملك الملوك الرحمن الرحيم الجواد الكريم.

---

(١) رواه البزار رقم (١١٥٣) وغيره، وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣١٧٣).

(٢) (مجموع الفوائد واقتناص الأوابد) ص (٢٦٣).

فلله المثل الأعلى لو أن رجلاً معروفًا ومشتهرًا بالكرم والجود، وحلَّ به أضياف دون دعوة منه، فماذا يا ترى يصنع بأضيافه؟!

لاشك أنه سيكرمهم، و يقدر مجيئهم، فكيف إذا كان هذا الرجل قد دعاهم لضيافته فأجابوه، أليس إكرامه لهم سيكون أفضل وأجود؟!!

فالله جل وعلا أعظم وأكرم وأجود لضيوفه الذين دعاهم فأجابوه من هذا الرجل لضيوفه.

٢ -شعور الحاج والمعتمر بهذه الضيافة تجعله يحس بقربه من ربه إذ هو في ضيافته، فيقوى بذلك رجاؤه وحسن ظنه به أن يقبل عثرته ويغفر ذنبه ويستجيب دعوته.

٣ -شعور الحاج والمعتمر بهذه الضيافة يجعله يستحي من ربه وهو في ضيافته وفي كنفه أن يقصر فيما أمره به، أو يقترف ما نهاه عنه، وبهذا يحقق الحاج قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وينال المعتمر أجر عمرته.

ولله المثل الأعلى ألا ترى أن الرجل إذا كان ضيفًا عند أحدٍ من الناس، يكون محترمًا صاحب البيت، فلا يتكلم أو يفعل أمرًا يعرف أنه يكرهه؟!

وهذا ولا شك من مكارم الأخلاق والصفات الطيبة والسجايا الحميدة إذا كانت في حق بشرٍ مثله، فكيف إذا كانت في حق الله جل جلاله؟!!

والحياء من الله جل وعلا من أعمال القلوب، إذ (الحياء شعبة من الإيمان)[١]، وقد أمر النبي ﷺ بالحياء من الله جل جلاله فقال عليه الصلاة والسلام: (**استحيوا من الله حق الحياء**) قالوا: إنا نستحي يا رسول الله، قال: (**ليس ذلكم، ولكن من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء**)[٢].

يقول ابن القيم رحمه الله عن منزلة الحياء: (و"الحياء" من الحياة، ومنه "الحيا" للمطر، لكن هو مقصور، وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خُلق الحياء، وقلة الحياء من موت القلب والروح، فكلما كان القلب أحيى كان الحياء أتم – إلى أن قال – وحقيقته خلق يبعث على ترك القبائح، ويمنع من التفريط في حق صاحب الحق)[٣].

---

(١) رواه البخاري رقم (٩) ومسلم رقم (٣٥).

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٤٥٨)، وحسنه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٩٣٥).

(٣) (مدارج السالكين) (٢/٦٠١).

## سرُّ (الله أكبر) في الحج والعمرة

التكبير من الأذكار التي تقرب العبد من ربه جل وعلا لما فيه من تعظيم الله وإجلاله وتمجيده جل وعلا.

وهو من الأذكار التي تلازم الحاج والمعتمر في حجه وعمرته؛ فعند الشروع في الطواف يكبر، وعند استلام أو محاذاة الحجر الأسود يكبر، وعند استلام الركن اليماني يكبر، وعند الوقوف على الصفا وكذا المروة يكبر، وعند الإفاضة من عرفة يكبر، وعند المشعر الحرام يكبر، وعند السير إلى منى يكبر، وعند رمي الجمار يكبر، وعند ذبح الهدي والأضاحي يكبر، وفي أيام التشريق يكبر، وعند انقضاء الحج يكبر، فما معنى التكبير وما سرّه؟!!

ويقول ابن القيم رحمه الله أيضًا عن معنى ا لتكبير: (فالله سبحانه أكبر من كل شيء ذاتًا وقدرًا وعزةً وجلالةً، فهو أكبر من كل شيء في ذاته وصفاته وأفعاله)[1].

وعن سرِّ التكبير في هذه المواطن العظيمة التي يجتمع فيها أمم من الناس وغيرها من المواطن يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وهذا كله يبين أن التكبير مشروع في المواضع الكبار لكثرة الجمع أو لعظمة الفعل أو لقوة الحال أو نحو ذلك من الأمور الكبيرة ليبين أن الله أكبر، وتستولي كبرياؤه في القلوب على كبرياء تلك الأمور الكبار، فيكون الدين كله لله، ويكون العباد له مكبرين، فيحصل لهم

---

(١) (الصواعق المرسلة) (١٣٧٩/٤).

مقصودان: مقصود العبادة بتكبير قلوبهم لله، ومقصود الاستعانة بانقياد سائر المطالب لكبريائه)[١].

والثمرة الحقيقية للتكبير: (الثمرة الحقيقية لهذا الذكر العظيم ألا وهي: ما يقوم في القلب عند الإتيان بهذا الذكر من الإجلال والتعظيم والمحبة والإخلاص والخوف والرجاء لله تعالى والتوكل عليه وحده سبحانه، لأن استحضار كبريائه سبحانه وعظمته وجبروته وقهره لكل شيء يوجب هذه الآثار بحيث يتوجه العبد بقلبه وقالبه لربه العظيم الكبير الذي هو أكبر من كل شيء، فيستحي أن يلتفت إلى غيره أو يأبه به)[٢].

وإن من مقاصد الحج والعمرة تعظيم الله جل وعلا وإجلاله تبارك وتعالى، لذا لا تخلو شعيرة من شعائر الحج والعمرة من التكبير، إظهارًا لكبرياء الله وعظمته وجلاله.

وتعظيم الله جل جلاله من أجلِّ أعمال القلوب وأعظمها.

فعلى الحاج والمعتمر أن يستحضر كبرياء الله وعظمته وجلاله في قلبه، وما يثمر ذلك من معانٍ إيمانية في كل موضع يكبر الله فيه.

يقول ابن القيم – رحمه الله تعالى – عن منزلة التعظيم: (وهذه المنزلة تابعة للمعرفة، فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب، وأعرف الناس به أشدهم له تعظيمًا وإجلالاً، وقد ذم الله تعالى من لم يعظمه حق عظمته، ولا عرفه حق معرفته، ولا وصفه حق صفته،

---

(١) (مجموع الفتاوى) (٤/٢٢٩).

(٢) (منارات في الطريق) للشيخ عبد العزيز ناصر الجليل، ص (٢٣٩).

وأقوالهم تدور على هذا، فقال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، قال ابن عباس ومجاهد: لا ترجون لله عظمة، -إلى أن قال رحمه الله - وروح العبادة: هو الإجلال والمحبة، فإن تخلى أحدهما عن الأخر فسدت، فإذا اقترن بهذين الثناء على المحبوب المعظم فذلك حقيقة الحمد، والله سبحانه أعلم)[1].

ويقول رحمه الله تعالى في موضع آخر مبينًا عظمة الله جل وعلا من جهة عجز العباد عن معرفة كيفية صفاته جل وعلا: (فكيف يطمع العقل المخلوق المحصور المحدود في معرفة من له الكمال كله، والجمال كله، والعلم كله، والقدرة كلها، والعظمة كلها، والكبرياء كله، من لو كَشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحاتُه السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، وما وراء ذلك؟ الذي يقبض سماواته بيده فتغيب كما تغيب ا لخردلة في كفِّ أحدنا، الذي نسبة علوم الخلائق كلها إلى علمه أقل من نسبة نقرة عصفور من بحار العالم، الذي لو أن البحر يَمُدُّه من بعده سبعة أبحر مدادٌ، وأشجار الأرض من حين خلقت إلى قيام الساعة أقلام لفني المداد، وفنيت الأقلام، ولم تنفدْ كلماته)[2].

---

(١) (مدارج السالكين) (٣/٣٧٩-٣٨٠).

(٢) مدارج السالكين (٤/٢٩٦-٢٩٧).

## محظورات الإحرام

محظورات الإحرام: هي جملة من الأمور مباحة في الأصل، ولكن لما أحرم الحاج والمعتمر أصبحت في حقهما حرامًا، حتى يتم المعتمر عمرته، ويتحلل الحاج من حجه بالتحلل الأول أو الثاني على تفصيل في ذلك.

ومحظورات الإحرام هي:

حلق الشعر وتقليم الأظافر ومس الطيب وعقد النكاح وصيد البر، والجماع ومقدماته، وأما تغطية الرأس بملاصق، ولبس المخيط فخاص بالرجال.

وأما لبس النقاب والقفازين فخاص بالمرأة، ولكن يجب على المرأة أن تغطي وجهها عند وجود الأجانب بغير نقاب ولا برقع، والدليل على ذلك عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات، فإذا جاوزوا بنا سدَلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها، فإذا جاوزونا كشفناه)[(١)].

ويشهد له ما روته فاطمة بنت المنذر أنها قالت: (كنّا نخمِّر وجوهنا ونحن محرمات، ونحن مع أسماء بنت أبي بكر الصديق)[(٢)].

كما يجب على المرأة أن تغطي يديها بغير القفازين[(٣)].

وهذه المحظورات لها مقاصد وحكم منها:

---

(١) رواه ابو داود رقم (١٨٣٣)، وقال الألباني عنه اسناده حسن، انظر (مشكاة المصابيح) (٨٢٣/٢).

(٢) رواه مالك رقم (٧١٨)، وقال الألباني في (إرواء الغليل) (٢١٢/٤) وهذا إسناد صحيح.

(٣) انظر (الكافي) لابن قدامة (٣٤٧/٢) وما بعدها، تحقيق د. عبد الله التركي.

١ - ما ذكره الله جل وعلا عن صيد البر الذي هو أحد محظورات الإحرام، حال كون الصحابة رضوان الله عليهم محرمين عام الحديبية، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾[المائدة: ٩٤].

فهذه المحظورات توقظ في قلب الحاج الخوف من الله جل وعلا، إذ هو من أجل أعمال القلوب وأنفعها للقلب، وهو فرض على كل أحد، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

فالخوف إذا سكن القلب أحرق مواضع الشهوة فيها، وطرد الدنيا عنها.

والقلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر[1].

فإذا استقر الخوف في قلب الحاج نشأ عنه مراقبة الله جل وعلا.

٢ -مراقبة الله جل وعلا من أعمال القلوب التي متى ما سكنت القلب واستدامت فيه أوصلت الحاج والمعتمر إلى درجة الإحسان التي هي

(١) انظر (مدارج السالكين) (١٣٦/٢) وما بعدها، بتصرف.

أعلى مراتب الدين، وهي (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[١].

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (والمراقبة: هي دوام علم العبد، وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه، فاستدامته لهذا العلم واليقين: هي "المراقبة" وهي ثمرة بأن الله سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله، وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة وكل نَفَس وكل طرفة عين)[٢].

وهذه المراقبة تثمر أمورًا منها:

أ -تقوى الله جل جلاله في السر والعلن.

يقول الشيخ عمر الأشقر رحمه الله تعالى: (وإذا تحقق معنى الرقيب في قلب العبد، وملك عليه زمام نفسه، أورثه ذلك التقوى، وراقب نفسه، أن لا يراها حيث نهاها، ولا يفقدها حيث أمرها، وتأتيه المغريات والشهوات التي تدير الرؤوس، يسوقها شياطين الجن والأنس، كي يدخلوا العبد في متاهات الباطل، وظلمات الفساد، فتأتي رقابة الله التي استقرت في قلب العبد، فكانت حماية ووقاية، علم العبد أن الله رقيب عليه، عالم به، وعلم أن الملائكة الكرام الكاتبين الذين يرقبون

(١) رواه البخاري رقم (٥٠) ومسلم رقم (٩).

(٢) (مدارج السالكين) (٢/٢٦٨-٢٦٩).

أعماله وأقواله، ويطلعون عليه، ويدونون كل ما يصدر عنه: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨] (١).

ومن آثار تقوى الله جل وعلا على الحاج والمعتمر تعظيم حرمات الله فلا يقترفها، وتعظيم شعائره جل وعلا فيؤدي ما أوجب الله عليه فيها.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾[الحج: ٣٠]، وبعدها بآية قال جل شأنه: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢].

ب -مراقبة العبد لربه جل وعلا تشعره بقربه منه، فينشأ عن ذلك الفرح والسرور والطمأنينة به جل ثناؤه، وهذا له أثر كبير على العبد في مداومته على الطاعات والاستقامة على الدين.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى عن هذا المعنى في منزلة المراقبة: (فهو الفرح والتعظيم، واللذة التي يجدها في تلك المداناة، فإن سرور القلب بالله وفرحه به، وقرة العين به، لا يشبهه شيء من نعيم الدنيا البتة، وليس له نظير يقاس به، وهو حال من أحوال الجنة، حتى قال بعض العارفين: إنه لتمر بي أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا، إنهم لفي عيش طيب.

ولا ريب أن هذا السير يبعثه على دوام السير إلى الله عز وجل، وبذل الجهد في طلبه، وابتغاء مرضاته ومن لم يجد هذا السرور، ولا شيئًا منه

---

(١) (الأسماء الحسنى) د. عمر الأشقر ص (١٧١-١٧٢).

فليتهم إيمانه وأعماله، فإن للإيمان حلاوة من لم يذقها فليرجع، وليقتبس نورًا يجد به حلاوة الإيمان.

وقد ذكر النبي ﷺ ذوق طعم الإيمان ووجد حلاوته، فذكر الذوق والوجد، وعلقه بالإيمان فقال: (ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً)[1]، وقال: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار)[2].

فالخوف من الله جل وعلا ومراقبته جل جلاله تجعل الحاج والمعتمر حريصًا كل الحرص على ألا يقع في شيء من محظورات الإحرام.

والحجاج والعُمَّار الذين أيقظت محظورات الإحرام قلوبهم بالخوف من الله جل وعلا ومراقبته جل شأنه صنفان:

**أولاً**: صنف كانت محظورات الإحرام سببًا لإيقاظ قلبه بالخوف من الله جل وعلا ومراقبته جل جلاله، في جميع أحواله، فلم يقتصر على محظورات الإحرام فقط، بل كل ما فيه حرمة تركه، أو ما فيه شبهة اجتنبه، فكان درسًا عمليًا استفاده من مدرسة الحج الكبرى مما جعل ذلك سببًا في استقامته بعد حجه وعمرته، فهنيئًا لمن هذه حاله ويا سعادة من وفق لذلك.

---

(١) رواه مسلم رقم (٣٤).

(٢) رواه البخاري رقم (١٦-٢١)، ومسلم رقم (٤٣).

**ثانيًا**: صنف خاف الله جل وعلا وراقبه في محظورات الإحرام، ولكنه قصر وفرط في غيرها، كالغيبة والنميمة أو شرب الدخان أو النظر المحرم، أو إسبال الثياب والبناطيل أو حلق اللحية بعد التحلل أو غيرها من الذنوب والمعاصي.

ولم يشعر هذا الصنف من الناس – غفر الله له وهداه – وإن كان خاف الله جل وعلا وراقبه في محظورات الإحرام – وهذا أمر يشكر عليه – إلا أنه وقع في أمر آخر ينقص أجر حجه أو عمرته بقدر ما وقع فيه من معصية، ذلك أن الله جل و علا يقول: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾[البقرة: ١٩٧].

وقال ﷺ: (**من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**)[1].

فهو وقع في الفسوق وهو المعصية، عسى الله جل وعلا أن يتداركنا وإياه بتوبة منه ومغفرة ورحمة.

---

(١) رواه البخاري رقم (١٤٤٩) ومسلم رقم (١٣٥٠).

## البيت العتيق حرمته والطواف به

البيت العتيق هو قبلة المسلمين، ومهوى أفئدتهم، ومثابة لهم، يثوبون إليه كلما رجعوا إلى ديارهم، فلا يقضون وطرهم منه أبدًا.

قد امتلأت قلوبهم له محبة وتعظيما، وشوقًا وحنينًا، ومهابة واجلالاً، ذلك أنه بيت ربهم جل جلاله.

**تعظيم البيت العتيق وحرمته:**

لقد وصف الله بيته الحرام بعدة أوصاف بيانًا لعظمته، وتذكيرًا بحرمته، وتفخيمًا لشرفه وشأنه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾[آل عمران: ٩٦ -٩٧].

يقول ابن القيم – رحمه الله -عن هذه الآية: (فوصفه بخمس صفات: أحدها: أنه أسبق بيوت العالم وَضْعًا في الأرض.

الثاني: أنه مبارك والبركة كثرة الخير ودوامه، وليس في بيوت العالم أبرك منه ولا أكثر خيرًا ولا أدوم ولا أنفع للخلائق.

الثالث: أنه هدى.

الرابع: ما تضمنه من الآيات البينات التي تزيد على أربعين آية.

الخامس: الأمن الحاصل لداخله) [1].

---

(١) (بدائع الفوائد) (٤٦١/٢) طبعة دار عالم الفوائد.

ومن تعظيم الله جل وعلا لبيته العتيق أن جعله قيامًا للناس، فقيام مصالحهم الدينية والدنيوية منوطة بتعظيم هذا البيت العتيق وعمارته بالحج والعمرة، قال تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٩٧].

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى عن هذه الآية: (وجعل الله بيته الحرام قيامًا للناس، فهو عمود العالم الذي عليه بناؤه، فلو ترك الناس كلهم الحج سنة لخرت السماء على الأرض، هكذا قال ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنه، فالبيت الحرام قيام العالم، فلا يزال قيامًا مادام محجوجًا)[1].

وتعظيم الكعبة من تعظيم الله جل وعلا ودليل على تقواه، إذ الكعبة أجل وأعظم شعائر الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢].

وتعظيمها يكون بأداء ما شرع الله جل وعلا فيها من عبادةٍ على أكمل وجه، مع اجتناب المعاصي والذنوب فيها وفي كنفها.

وقد عظم النبي ﷺ الكعبة بقوله وفعله؛ أما قوله فقد قال النبي ﷺ لما رأى الكعبة: **(ما أعظمك)**[2]، وأمر أمته بتعظيم الكعبة وذلك باتخاذها قبلة لهم في صلاتهم أينما كانوا، وحثهم على المتابعة في إعمارها بالحج والعمرة والطواف.

---

(١) (مفتاح دار السعادة) (٨٦٨/٢) طبعة دار عالم الفوائد.

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٠٣٢) قال الألباني: حسن صحيح.

أما فعله ﷺ فقد طهر الكعبة من رجس الأوثان، وعلم أمته كيف يُطاف بها فقال عليه الصلاة والسلام: (**لتأخذوا مناسككم**)[١]، وبين موضع التقبيل منها والاستلام[٢]، وأما عداها من التبرك بالكعبة والتمسح بجدُرها فهي بدعة ليست من الدين في شيء.

يقول شيخ الإسلام عن عظمة الكعبة المشرفة: (وكذلك ما خصَّ الله به الكعبة البيت الحرام من حين بناه إبراهيم وإلى هذا الوقت: من تعظيمه وتوقيره، وانجذاب القلوب إليه -إلى أن قال رحمه الله تعالى- وقد جعل للبيت من العز والشرف والعظمة ما أذل به رقاب أهل الأرض، حتى تقصده عظماء الملوك ورؤساء الجبابرة، فيكونون هناك في الذل والمسكنة كآحاد الناس، وهذا مما يُعلم بالاضطرار أنه خارج عن قدرة البشر وقوى نفوسهم وأبدانهم)[٣].

وقال محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى يصف مشهد رؤية الكعبة المشرفة: (حتى إذا اكتحلت عينه برؤية الكعبة المعظمة، وراع القلب ما جلَّلها من المهابة والعظمة، تُذَكِّر أنها أول بيت وضع للناس وهدى للعالمين، وخصه الله بالآيات البينات الباقية على بقايا الأيام والسنين)[٤].

---

(١) رواه مسلم رقم (١٢٩٧).

(٢) أما (الملتزم) أو (الحطيم) وهو ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة فهذا الموضع فيه خلاف بين أهل العلم في التزامه والدعاء عنده وسيرد ذكره إن شاء الله.

(٣) (الصفدية) لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/٢٢٠).

(٤) نقلاً من (الشوق والحنين إلى الحرمين) تأليف محمد بن موسى الشريف ص (٣٢-٣٣).

## الطواف بالبيت العتيق

لما بدأ النبي ﷺ الطواف بالبيت العتيق (فبدأ بالحجر فاستلمه وفاضت عيناه بالبكاء)[١]، بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام.

فهذا المقام العظيم يجمع بين المحبة والشوق والتعظيم والإجلال والخشوع والذل والانكسار والفاقة والافتقار.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري رحمه الله تعالى عن الطواف بالبيت الحرام: (وأما طواف الحجاج حول الكعبة البيت الحرام فهو تشبُّه منهم بالملائكة الحافين بعرش الله، الطائفين به، المسبحين حوله، لا يفترون، وفي هذا من سمو الروح مالا يصفه الواصفون، ومن مراقبة الله وسد الجوعة الروحية في المسلم إلى ربه المنعم ما لا يقدر أحد قدره)[٢].

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا – رحمه الله تعالى - : (فإذا دنا من مهبط الروح الأمين ومطاف الملائكة والنبيين، والصديقين والشهداء والصالحين، فلا تسلْ ثمَّ عن الدموع كيف تنسكب، وعن الضلوع كيف تضطرب، وعن الأعناق كيف تخضع، وعن القلوب كيف تخشع، ولا عن وجدان الإيمان كيف يتألق نوره في الجنان، ويفيض بيانه على اللسان، فيحركه بما يلهم من الثناء، وما يشعر بالحاجة إليه من الدعاء، وما يَذْكُره أو يُذَكِّر به من المأثور، لا تسلْ أيها القارئ عن

---

(١) (السنن الكبرى) للبيهقي (٥/٧٤) وقال ابن كثير في السيرة النبوية (٤/٣١٧) وهذا اسناد جيد.

(٢) (الحج أحكامه – أسراره – منافعه) للشيخ عبد الرحمن محمد الدوسري، ص (٧٦).

شيء من ذلك، ولا عن غيره مما يكون عند أداء المناسك، فمن ذاق عرف، ومن حُرم انحرف – إلى أن قال رحمه الله تعالى – ولما كان الرب العلي العظيم، الجدير بأعلى مراتب الحب والتعظيم، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، ولا يراه عباده في هذه الدار، كان من رحمته بالمؤمنين المحبين أن وضع هذا البيت للطائفين منهم والعاكفين، ونسبه إليه ليكون تعظيمه تعظيمًا له...) [1].

والطواف بالبيت الحرام يحرك في قلب الحاج والمعتمر معان عظيمة منها:

١ -محبة الله جل وعلا والشوق إليه، حيث إن الحاج والمعتمر يطوف ببيت ربه جل وعلا.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى عن الكعبة البيت الحرام: (ولو لم يكن له شرف إلا إضافته إياه إلى نفسه بقوله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ لكفى بهذه الإضافة فضلاً وشرفًا، وهذه الإضافة هي التي أقبلت بقلوب العالمين وسلبت نفوسهم حبًا له وشوقًا على رؤيته) [2].

ومحبة الله جل وعلا من أخص أعمال القلوب، ذلك أن القلوب قد فُطرت عليها، لكنها تزيد بالطاعة وتنقص بالمعصية، وتطمس بالكفر كما هو حال اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم.

---

(١) نقلاً عن (الشوق والحنين إلى الحرمين) تأليف محمد بن موسى الشريف ص (٣٣-٣٤).

(٢) (بدائع الفوائد) (٤٦١/٢)، طبعة دار عالم الفوائد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (والقلب إنما خلق لأجل "حب الله تعالى" وهذه الفطرة التي فطر الله عليها عباده، كما قال النبي ﷺ: (**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**[(١)])[(٢)].

ومحبة الله – أيضًا – من أقوى محركات القلوب إلى الله جل وعلا: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مقررًا هذا المعنى: (اعلم أن محركات القلوب إلى الله عز وجل ثلاثة المحبة والخوف والرجاء، وأقواها المحبة وهي مقصودة تُراد لذاتها، لأنها تراد في الدنيا والآخرة، بخلاف الخوف فإنه يزول في الآخرة)[(٣)].

ويقول ابن القيم عن منزلة المحبة: (وهي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى عَلَمها شمر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبِرَوْحِ نسيمها تروّح العابدون، فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون، وهي الحياة التي مَنْ حُرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حَلَّت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام، وهي روح الإيمان والأعمال، والمقامات والأحوال التي متى خَلَت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه)[(٤)].

---

(١) رواه البخاري رقم (١٣٥٨) ومسلم رقم (٢٦٥٨).

(٢) (مجموع الفتاوى) (١٠/١٣٤).

(٣) (مجموع الفتاوى) (١/٩٥).

(٤) (مدارج السالكين) (٢/٤٢٩-٤٣٠).

وعلى قدر محبة الله جل وعلا والشوق إليه في قلب الطائف بالبيت الحرام يكون الفرح والسرور وقرة العين وطمأنينة النفس.

٢ -الطواف بالكعبة البيت الحرام مشهد مهيب، يحرك في قلب الحاج والمعتمر عظمة الله جل وعلا وكبريائه، فيتولد من ذلك الخشوع والخضوع والتذلل والانكسار والتضرع والافتقار.

والناس لا شك متفاوتون في ذلك فبقدر استحضار عظمة الله جل وعلا وكبريائه في قلوبهم يكون الخشوع والخضوع والتذلل والانكسار والتضرع والافتقار في قلوبهم وعلى جوارحهم.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (وهو مشهد الذل، والانكسار، والخضوع، والافتقار للرب جل جلاله، وهذه الحال التي تحصل لقلبه لا تنال العبارةُ حقيقتها، وإنما تدرك بالحصول، فيحصل لقلبه كَسْرَة خاصة لا يشبهها شيءٌ -إلى أن قال رحمه الله -فما أقرب الجبر من هذا القلب المكسور! وذرة من هذا ونَفَسٌ منه أحب إلى الله من طاعات أمثال الجبال من المدلِّين المعجبين بأعمالهم وعلومهم وأحوالهم، وأحب القلوب إلى الله سبحانه: قلب قد تمكنت منه هذه الكسرة، وملكته هذه الذلة؛ فهو ناكس الرأس بين يدي ربه؛ لا يرفع رأسه إليه حياء وخجلا من الله.

قيل لبعض العلماء: أيسجد القلب؟ قال: نعم سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء، فهذا سجود القلب.

فقلب لا تباشره هذه الكسرة فهو غير ساجد السجود المراد منه. وإذا سجد القلب لله – هذه السجدة العظمى – سجدت معه جميع الجوارح، وعنا الوجهُ حينئذ للحي القيوم، وخشع الصوت والجوارح كلها، وذل العبد وخضع واستكان، ووضع خده على عتبة العبودية، ناظرًا بقلبه إلى ربه ووليه نظر الذليل إلى العزيز الرحيم، فلا يُرى إلا متملقًا لربه، خاضعًا له، ذليلاً مستعطفًا له، يسأله عطفه ورحمته، فهو يترضى ربه كما يترضى المحب الكامل المحبة محبوبه المالك له، الذي لا غنى له عنه، ولا بد له منه، فليس له همٌّ غير استرضائه واستعطافه، لأنه لا حياة له ولا فلاح إلا في قربه ورضاه عنه، ومحبته له، يقول: كيف أُغضب من حياتي في رضاه، وكيف أعدل عمن سعادتي وفلاحي وفوزي في قربه وحبه وذكره)[1].

٣ -الطواف بالبيت الحرام يشعر الحاج والمعتمر بقربه من ربه جل وعلا، فتقوى بذلك محبته لله ورجاؤه وحسن ظنه، وهذا مدعاة لكثرة الذكر، وقد قال ﷺ: (**إنما جُعل الطواف بالبيت، وبين الصفا والمروة، ورمي الجمار لإقامة ذكر الله**)[2].

وهذا الذكر يشمل ذِكْرَ الثناء والتمجيد لله جل وعلا، ويشمل ذِكْرَ الدعاء والاستغفار وقد بين جل وعلا كيفية ذكر الثناء والتمجيد في قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ وبين

---

(١) انظر: (مدارج السالكين) (١/٧٣٥) بتصرف يسير.

(٢) رواه ابو داود رقم (١٨٨٨)، والترمذي رقم (٩٠٢) وقال حسن صحيح، وصححه ابن خزيمة رقم (٢٨٨٢، ٢٩٧٠)، وحسنه الأرناؤوط في جامع الأصول رقم (١٥٠٥).

كذلك كيفية ذكر الدعاء والاستغفار في قوله: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾.

وذِكْرُ الثناء له روحان وأدب، فروحاه هما التضرع والخوف والأدب هو (دون الجهر في القول) فعلى قدر التضرع والخوف في قلب الذاكر وقيامه بأدبه يكون أثره عليه.

وذِكْرُ الدعاء له روح وأدب، فروحه التضرع وأدبه الإخفاء لا جهرًا وعلانية يخشى منه الرياء، فعلى قدر التضرع في قلب الداعي، وقيامه بأدبه تكون إجابة دعائه.

والتضرع والخوف من أعمال القلوب التي على الحاج والمعتمر استشعارها، وقيام القلب بها عند الذكر والدعاء[1].

وفي نهاية هذا الموضوع ثمة أمر يجدر الإشارة إليه؛ ليعطي الطواف بالبيت أُكُلَهُ بإذن ربه، وقد ينعت ثماره وطابت ظلاله، ألا وهو التهيؤ لهذا المقام العظيم من جانب، وحفظ القلب من الخواطر والشواغل من جانب آخر خاصة أثناء الطواف.

ولعل من أهم مكدرات قلب الحاج والمعتمر النظر المحرم سواءً من الرجال للنساء أو من النساء للرجال، فبقدر ما ينشغل القلب بما يرده من

---

(١) سأذكر إن شاء الله تعالى (الدعاء) في موضوع (يوم عرفة) ص (١٣٧)، و(الذكر) في موضوع (المبيت بمزدلفة) ص (١٤٥)، وما فيهما من أعمال القلوب بأوسع من هذا، فليرجع إليهما القارئ الكريم لتتم الفائدة بتوفيق الله.

سهام بصره، بقدره يكون ضعف إقباله على ربه محبة وشوقًا، خضوعًا وانكسارًا، رجاءً وحسن ظن.

يقول ابن الجوزي رحمه الله تعالى: (اعلم أن غض البصر عن الحرام واجب، ولكم جلب اطلاقه من آفة، وخصوصًا في زمن الإحرام وكشف النساء وجوههن[1]، فينبغي لمن يتقي الله أن يزجر هواه في مثل ذلك المقام، تعظيمًا للمقصود، وقد فسد كثير بإطلاق أبصارهم هناك)[2].

وهذا الأمر يوقع العبد في أمرين عظيمين:

١ -الوقوع في معصية الله بالنظر إلى ما حرم الله في أطهر البقاع، وهذه معصية تتضاعف لشرف المكان.

٢ -إن هذا النظر المحرم له أثر في تكدر قلب الحاج والمعتمر وضعف خشوعه، وفرحه وسروره، وطمأنينته بقدر ما قارف بصره من معصية.

---

(١) يجب على المرأة أن تغطي وجهها حال احرامها، وقد سبق الحديث عن ذلك في محظورات الإحرام الخاصة بالمرأة ص (٧٩).

(٢) (منير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن) لابن الجوزي (١/٤٠٧) طبعة دار الراية.

## الحجر الأسود

الحجر الأسود مبدأ الطواف بالبيت – ومنتهاه – وكأنه للحاج والمعتمر مبدأ الإقبال على الله جل وعلا والوقوف ببابه معظمًا ومحبًا له، راغبًا فيما عنده.

وقد بين النبي ﷺ فضل الحجر الأسود ومكانته حيث قال ﷺ: **(الحجر الأسود من الجنة)** [(١)].

وقال ﷺ: **(ليأتين هذا الحجر يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من يستلمه بحق)** [(٢)].

وقال عليه الصلاة والسلام: **(إن مسح الحجر الأسود، والركن اليماني، يحطان الخطايا حطًا)** [(٣)].

وقد احتفى النبي ﷺ بالحجر الأسود وقبَّله والتزمه واستلمه، بل فاضت عيناه عليه الصلاة والسلام عند استلامه.

عن جابر رضي الله عنه واصفًا طواف النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

---

(١) رواه أحمد (٤/٢٨٤) وقال أحمد شاكر: اسناده صحيح، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٣١٧٥).

(٢) رواه الترمذي رقم (٩٦١) وقال هذا حديث حسن، وصححه الألباني في (صحيح سنن الترمذي) رقم (٩٦١).

(٣) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٤/٢٧٢٩) وقال محققه إسناده حسن، والبغوي في شرح السنة (٧/١٩١٦)، وقال: حديث حسن، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) رقم (٢١٩٤).

(فبدأ بالحجر فاستلمه وفاضت عيناه بالبكاء) [١].

وعن سويد بن غَفَلَة قال: (رأيتُ عمر قبَّل الحجر والتزمه، وقال: رأيت النبي ﷺ بك حفيًا) [٢].

وللحجر الأسود في قلوبنا عدة معانٍ منها:

١ - أن الحجر الأسود من الجنة، فما من شيء في الأرض من الجنة هو بين أيدينا نستطيع أن نقبله ونلتزمه ونستلمه إلا هذا الحجر، فهو يذكرنا بالجنة التي طالما اشتقنا إليها، فعلى الحاج والمعتمر أن يكون به حفيًا اقتداءً بنبيه محمد ﷺ.

٢ - التسليم للشارع في تقبيل الحجر الأسود واستلامه والتزامه سواءً علمنا الحكمة من ذلك أم لم نعلم.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند تقبيل الحجر الأسود: (إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك) [٣].

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: (وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي ﷺ فيما يفعله ولو لم تعلم الحكمة فيه) [٤].

---

(١) رواه البيهقي في (السنن الكبرى) (٧٤/٥) قال ابن كثير في السيرة النبوية (٣١٧/٤) وهذا إسناد جيد

(٢) رواه مسلم رقم (١٢٧١).

(٣) رواه البخاري رقم (١٤٩٤).

(٤) فتح الباري (٤٦٣/٣).

والتسليم من أعمال القلوب التي يجب على العبد أن يتعبد الله جل وعلا بها.

قال ابن عقيل رحمه الله تعالى: (كان السلف الصالح عبيد تسليمٍ وتحكيم في المعتقدات، وجدٍّ وتشمير في الأعمال والطاعات)[1].

والتسليم خمسة أقسام، هي:

أ -ألا يعارض ما أخبر الله جل وعلا به، وأخبر به رسول الله ﷺ من أمور غيبية كأسمائه جل وعلا وصفاته وأفعاله أو عن يوم القيامة أو غيرها فلا يعارض هذا بشبهة في نفسه، بل يسلم لذلك.

١ - ألا يعارض ما أمر الله جل وعلا به أو أمر به رسوله ﷺ بشهوة أو هوى في نفسه، بل يسلم لذلك.

٢ - ألا يعارض مراد الله جل وعلا بالأعمال الصالحة بأن تكون خالصة له، وذلك بأن يعارضها بإرادة غير وجهه الكريم كأن تكون رياءً أو سمعة أو عجبًا أو إرادة دنيا أو غير ذلك.

٣ - ألا يعارض حكمة الله في أمره وخلقه، بأن يرى الحكمة خلاف ما شرع الله جل وعلا بل يسلم لذلك.

٤ - ألا يعارض ما قدره الله جل وعلا وقضى به، بأن يتسخط على أقدار الله بل يسلِّم لذلك.

---

(١) نقله ابن تيمية في (درء تعارض العقل والنقل) (٨/٦٥).

وبهذا يتبين أنه من أجلِّ مقامات الإيمان، وأعلى طرق الخاصة، وأن "التسليم" هو محض الصديقية التي هي بعد درجة النبوة. وأن أكمل الناس تسليمًا: أكملهم صديقية[١].

٣ -متابعة النبي ﷺ فيما فعل من تقبيل والتزام واستلام -كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك) - فقد اقتصر ﷺ على تقبيل والتزام واستلام الحجر الأسود، وكذلك استلام الركن اليماني، وأما ما بين باب الكعبة والحجر الأسود الذي يسمى (الملتزم) أو (الحطيم) فقد اختلف أهل العلم في جواز التزامه، وذلك بأن يلصق الحاج بطنه وصدره بحائط البيت ويبسط يديه على الجدار، فيجعل يده اليمنى مما يلي الباب واليسرى مما يلي الحجر الأسود[٢].

فهذه الثلاث المواضع، موضعان متفق عليهما الحجر الأسود والركن اليماني، وموضع مختلف فيه (الملتزم)؛ أما ما عداها من مواضع كجدر الكعبة أو أستارها أو مقام إبراهيم أو الصفا أو المروة، أو شيء من المسجد الحرام، أو جبل الرحمة أو غيرها، فإنه لم يرد عن النبي ﷺ ولا الصحابة الكرام تقبيل أو التزام أو استلام أو التبرك بشيء من ذلك.

قال محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى: (الكعبة نفسها – زادها الله تشريفًا – لا يتبرك بها، ولهذا لا يقبل منها إلا الحجر الأسود فقط، ولا يمسح

---

(١) انظر: (مدارج السالكين) ( /٤١٢-٤١٣).

(٢) ارجع إن شئت (البيان المحكم في حكم الملتزم) تأليف د. عبد الرحمن بن عثمان الجلعود.

منها إلا هو والركن اليماني فقط، وهذا التقبيل والمسح المقصود منه طاعة رب العالمين، واتباع شرعه وليس المراد أن تنال اليد البركة)[١].

فعلى الحاج والمعتمر المتابعة للنبي ﷺ في ذلك، ومن قبَّل أو التزم أو استلم شيئًا لم يقبِّله النبي ﷺ أو التزمه أو استلمه فقد أتى ببدعة منكرة، قال ﷺ: (**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**)[٢]، فإن الأعمال لا تقبل إلا بشرطين: الإخلاص لله جل وعلا، ومتابعة النبي ﷺ. فإن اختل أحدهما لم يقبل العمل كائنًا ما كان.

وهذه البدع المخالفة لهديه ﷺ قد تؤثر في قبول العمرة، أو نقصان أجرها، كما قد تؤثر في قبول الحج، بحيث لا يكون الحج مبرورًا.

كما قد تقصر بصاحبها أن يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، لأن المبتدع وقع في درجةٍ عاليةٍ من الفسوق، لأن الفسوق معناه الخروج على أمر الله جل وعلا وأمر رسوله ﷺ، والمبتدع قد أتى بما لم يأتِ به النبي ﷺ واتخذ ذلك عبادة، وقد قال ﷺ: (**من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**)[٣].

٣ -قال ﷺ: (**نزل الحجر الأسود من الجنة، وهو أشد بياضًا من اللبن، فسودته خطايا بني آدم**)[٤].

---

(١) (مجموع الفتاوى والرسائل) للشيخ محمد بن إبراهيم (١٢/٥).

(٢) رواه مسلم رقم (١٧١٨).

(٣) رواه البخاري رقم (١٤٤٩، ١٧٢٣، ١٧٢٤) ومسلم رقم (١٣٥٠).

(٤) رواه الترمذي رقم (٨٧٨) وقال: حديث حسن صحيح،

على الحاج والمعتمر وغيرهما أن يتذكروا عند رؤية الحجر الأسود أو تقبيله أو استلامه أو الإشارة إليه أنه كان أبيض من اللبن، فسودته وأثرت فيه خطايا بني آدم، فيعتبروا بذلك ويحذروا المعاصي والخطايا فإن لها شؤمًا، فإذا كانت قد أثرت في الحجر الأصم فتأثيرها على القلوب أعم وأطم، نسأل الله العفو والعافية.

يقول محب الدين الطبري عن الحجر الأسود: (بقاؤه أسود – والله أعلم – إنما كان للاعتبار، ليُعلم أن الخطايا إذا أثرت في الحجر فتأثيرها في القلوب أعظم)[1].

(١) (القِرى لقاصد أم القُرى) لمحب الدين الطبري ص (٢٩٥).

## مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام والصلاة خلفه

قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾(آل عمران: ٩٦ -٩٧).

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ (البقرة: ١٢٥).

وعن جابر رضي الله عنه قال: استلم رسول الله ﷺ الركن، فرمل ثلاثًا، ومشى أربعًا، ثم تقدم إلى مقام إبراهيم: فقرأ: ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾، فجعل المقام بينه وبين البيت، فصلى ركعتين)[1].

ومقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي هو من الآيات البينات له في قلوبنا عدة معان منها:

١ -أن النبي ﷺ أتخذ مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام مصلى كما أمره الله جل وعلا، ولم يزد على ذلك حيث لم يقبله ولم يستلمه أو يتبرك به، فمن فعل ذلك فقد أتى ببدعة منكره خالف فيها هديه وسنته عليه الصلاة و السلام.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (حتى مقام إبراهيم الذي بمكة لا يقبَّل ولا يمسح، فكيف بما سواه من المقامات والمشاهد)[2].

---

(١) رواه مسلم رقم (١٢١٨).

(٢) (مجموع الفتاوى) (٣/٢٨٤).

٢ -مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام وما فيه من أثر قدميه الشريفتين، هو من الذكر الحسن لهذا النبي الكريم، فقد استجاب الله جل وعلا دعائه إذ دعا ربه: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾[الشعراء: ٨٤].

ويقول الشيخ عبد الرحمن الدوسري رحمه الله تعالى: (ينبغي للحاج أن ينطبع بالاقتداء بأبيه إبراهيم حينما يرى آثاره، فيحقق الملة الحنيفية التي هي الولاء في الله والبراء في الله، والحب في الله والبغض في الله، والتضحية بمرادات النفس ومحبوباتها في سبيل مراد الله ومحبوبه ليكون متبعًا لملة إبراهيم حنيفًا)[1].

فما يمر مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام في ذاكرة المؤمن، ولا يشاهده حاج أو معتمر أو مقيم أو معتكف بالحرم إلا تذكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام وما قام به من أعمال عظيمة كدعوته للتوحيد، وصبره على الأذى والبلاء في ذات الله والتسليم له، وبناءه للبيت وغيرها من أعمال جليلة كانت سببًا بعد توفيق الله أن ينال درجة: (خليل الرحمن) و﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ ﴾[النحل: ١٢٠] و﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗا ﴾. [البقرة: ١٢٤].

فهذه السيرة المباركة العطرة تحرك في النفس علو الهمة، وسمو الروح، لنيل شرف محبة الله جل وعلا لعبده، وكذلك نيل منزلة الإمامة في الدين، إذ هي دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام لذريته، قال تعالى:

---

(١) (الحج وأحكامه – أسراره – منافعه) ص (٥٩، ٦٠).

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤].

فإبراهيم عليه الصلاة والسلام لما أتمَّ ما ابتلاه الله واختبره به من كلمات جعله الله للناس إمامًا، ولما دعى أن يكون من ذريته أئمة أجاب الله دعوته، ولكن لا ينال عند الله وإمامة الدين الظالمون.

فمن أراد الإمامة في الدين والسبق مع السابقين وأن تناله دعوة أبيه إبراهيم، فليتمَّ ما ابتلاه الله واختبره به من أوامر ظاهرة وباطنة فليقمها، ونواهي ظاهرة وباطنة فليجتنبها، مقتدٍ في ذلك بالخليلين إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

والإمامة في الدين لا تنال إلا بالبصر واليقين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].. ).

والصبر واليقين عبادتان قلبيتان لا تجتمعان في قلب عبد حتى يجمع من خصال الخير وأعمال القلوب الشيء الكثير، لأن بهما تنال المرتبة العالية، والمنزلة النادرة ألا وهي الإمامة في الدين.

وقد تحدثت عن اليقين فيما سبق مما يغني عن الإعادة[1].

---

(١) راجع عنوان (الإحرام من الميقات) ص (٢٣).

وأما الصبر فمعناه: حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن التشكي والجوارح عن التشويش[١].

وهو نصف الإيمان، إذ الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر[٢].

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى عن الصبر: (اقترانه بمقامات الإسلام والإيمان، كما قرنه الله سبحانه باليقين، وبالإيمان وبالتقوى والتوكل، وبالشكر والعمل الصالح والرحمة.

ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، كما أنه لا جسد لمن لا رأس له، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (خير عيش أدركناه بالصبر)، وأخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح: (**أنه ضياء**)[٣]، وقال: (**من يتصبر يصبره الله**)[٤][٥].

وقال رحمه الله في موضع آخر: (فإن الله سبحانه جعل الصبر جوادًا لا يكبو، وصارمًا لا ينبو، وجندًا غالبًا لا يهزم، وحصنًا حصينًا لا يهدم ولا يثلم، فهو والنصر أخوان شقيقان – إلى أن قال رحمه الله - فالنصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، واليسر مع العسر، وهو أنصر لصاحبه من الرجال، بلا عدة ولا عدد، ومحله من الظفر كمحل الرأس من الجسد.

---

(١) (مدارج السالكين) (٢/٤٢٦).

(٢) انظر (مدارج السالكين) (٢/٤٢٠).

(٣) رواه مسلم رقم (٢٢٣).

(٤) رواه البخاري رقم (١٤٦٩) ومسلم رقم (١٠٥٣).

(٥) (مدارج السالكين) (٢/٤٢٤).

ولقد ضمن الوفي الصادق لأهله في محكم كتابه أنه يوفيهم أجرهم بغير حساب، وأخبر أنه معهم بهدايته ونصره العزيز وفتحه المبين، فقال: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦)، فذهب الصابرون بهذه المعية بخير الدنيا والآخرة، وفازوا بها بنعمه الباطنة والظاهرة)[1].

(١) (عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين) ص (٥-٦) طبعة دار عالم الفوائد.

## الصلاة خلف مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام

عندما ينتهي الحاج والمعتمر من الطواف بالبيت يأتي إلى مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو يقرأ ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[البقرة: ١٢٥]، ويصلي خلفه ركعتان يقرأ في الركعة الأولى بالفاتحة والكافرون وفي الثانية الفاتحة والإخلاص، مقتديًا بذلك بالنبي ﷺ ، ومن الحكمة في اختيار هاتين السورتين أعني الكافرون والإخلاص أن هاتين السورتين تسميان سورتا التوحيد ، فـ ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ سورة التوحيد العملي، وسورة ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ سورة التوحيد الاعتقادي.

عن جابر رضي الله عنه قال: عن حجة النبي ﷺ : (قرأ في ركعتي الطواف بسورتي الإخلاص: قل يا أيها الكافرون) و( قل هو الله أحد) )[1].

والحاج والمعتمر لا يستشعر لذة هاتين الركعتين رغم قربه الشديد من بيت الله الحرام إلا إذا كانتا بخشوع وخضوع وإقبال على الله جل وعلا.

والخشوع: هو قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل والإقبال عليه بكليته.

والخشوع روح الصلاة وحياتها ، وصلاة بلا خشوع كبدن بلا روح، فالمؤمن عندما يقف أمام ربه مستحضرًا عظمته، وأنه جل وعلا قُبالة وجهه؛ يسمع قراءته وتسبيحه ودعائه وتضرعه، فيخضع لذلك قلبه وينكسر فؤاده، محبةً وهيبةً وإجلالاً، حينها تعرج روحه إلى الملكوت

---

(١) رواه الترمذي رقم (٨٦٩)، وصححه الألباني في صحيح (سنن الترمذي) رقم (٦٨٩).

الأعلى، فيقرب من ربه، ويقرب منه ربه كما قال تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩]، وكما قال ﷺ: (**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**)[١]، ويكون هذا العروج وهذا القرب على قدر خشوعه، فينال بذلك صلة الرحمن، وفيض المنان وحلاوة الإيمان، فيدخل منها لأبواب الجنان، جنات الدنيا قبل جنات الآخرة، وهي الأنس بالله وقربه، ولذة مناجاته، والخلو به جلَّ وعلا، فيقوى بذلك قلبه، وتستريح نفسه من شعث الدنيا وغبارها وغصصها وكبدها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فالداعي والساجد يوجه روحه إلى الله؛ والروح لها عروج يناسبها، فتقرب من الله بلا ريب بحسب تخلصها من الشوائب، فيكون الله عز وجل منها قريبًا قُربًا يلزم من قُربها)[٢].

ويقول رحمه الله في موضع آخر: (إن روح المصلي تقرب إلى الله في السجود، وإن كان بدنه متواضعًا؛ وهذا هو الذي دلَّت عليه نصوص الكتاب)[٣].

ولعل هذا – والله أعلم – مما يبين لنا سرًا من الأسرار في فرضية الصلاة على النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج دون غيرها من العبادات؛ حيث كلمه ربه بلا واسطة ولا ترجمان، وفرض عليه وعلى أمته خمس

---

(١) رواه مسلم رقم (٤٨٢).

(٢) (مجموع الفتاوى) (٥/٢٤١).

(٣) (مجموع الفتاوى) (٦/٧).

صلوات متفرقة في اليوم والليلة؛ ليبقى قلب العبد متصلاً به عارجًا إليه في اليوم خمس مرات، بل أكثر من ذلك لمن حافظ على سنن الرواتب والنوافل، لا يمنعه من ربه شيء، وليس بينه وبين ربه واسطة ولا ترجمان؛ ينطرح بين يدي ربه كلما عناه أمر أو اشتد به كرب.

فلله الحمد على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة، وإن الصلاة لمن أعظمها وأجلَّها.

## السعي بين الصفا والمروة

قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴾ [البقرة: ١٥٨].

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى: (يخبر تعالى أن الصفا والمروة وهما معروفان "من شعائر الله" أي: أعلام دينه الظاهرة التي تعبد الله بها عبادة، وإذا كانا من شعائر الله فقد أمر الله بتعظيم شعائره، فقال: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢] فدلَّ مجموع النصَّين أنهما من شعائر الله، وأن تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب)[(١)].

ولما كان الصفا والمروة من شعائر الله العظام فينبغي لمن يسعى بين الصفا والمروة أن يستشعر عدة أمور منها:

١ -أن السعي بين الصفا والمروة عبادة يقتدي بها الساعي بالنبي ﷺ في ذلك، فهي من مناسك أبينا إبراهيم عليه السلام، وأكدها النبي ﷺ وليس قول النبي ﷺ لما ذكر سعي أمنا هاجر عليها السلام قال: **(فذلك سعي الناس بينهما)**[(٢)]، ليس المقصود أننا نسعى بين الصفا والمروة لمجرد سعيها عليها السلام، ولكنها كانت هي أول من فعل ذلك، ثم شرع الله جل وعلا السعي بين الصفا والمروة لحكمة أرادها جل وعلا،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص (٧٦).

(٢) رواه البخاري رقم (٣٣٦٤).

لعل منها ذكر أمنا هاجر وابنها إسماعيل عليهما السلام وما حصل في قصتهما من عبر ومواعظ.

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى: (يندب لصاحب النسك أن يستشعر حال هاجر ليس معها إلا طفلها، فإن ذلك فيه داع للخشية)[1].

٢ -للساعي بين الصفا والمروة أن يتذكر أباه إبراهيم عليه السلام فيتخذه قدوة حسنة، وذلك بتسليمه التام لأمر الله جل وعلا حيث أمره الله تبارك وتعالى أن يأخذ زوجه هاجر ورضيعها إسماعيل لمكة ويضعهما بوادٍ غير ذي زرع عند بيته المحرم ويتركهما وحدهما هنالك، لا أنيس ولا معين، ولا طعام ولا شراب إلا جراب فيه تمر، وسقاء فيه ماء، عما قليل سينتهي التمر، وينفد الماء، فسلم ولم يتردد طرفة عين.

(فقالت له: آللّٰه أمرك بذلك، قال: نعم).

فلا تعجب من هذا الإمام العظيم عليه الصلاة والسلام إذ هو إمام التسليم وقدوة المسلمين، فإنه عليه الصلاة والسلام منذ بداية أمره حتى لقي ربه وهو يتقلب من تسليم في تسليم.

فبداية أمره ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[البقرة: ١٣١]، ولما رمي بالمنجنيق سلم أمره لله جل وعلا ولم يعترض على قدر الله، فجاء الفرج ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، ثم هاجر إلى الله

(١) (مجموع الفتاوى) للشيخ محمد بن إبراهيم (٥/٢٤٥).

تاركًا عشيرته وذويه مع زوجه ساره وابن أخيه لوط عليهم الصلاة والسلام، فآواه الله جل وعلا إلى الأرض التي بارك فيها.

وأمره بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام بيده فسلم لأمر الله ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ ﴾ [الصافات: ١٠٣ -١٠٥].

وأمره ببناء الكعبة هو وابنه إسماعيل ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وبين عليه الصلاة والسلام أنه لا ينفع يوم القيامة ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴾ [الشعراء: ٨٨ -٨٩]، فأثابه الله وجازاه على تمام تسليمه بأن جعله يأتي يوم القيامة بقلب سليم ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴾ [الصافات: ٨٣ -٨٤]، ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾[الرحمن: ٦٠].

٣ -للساعي بين الصفا والمروة أن يتذكر حقيقة التوكل الذي تمثلته أمنا هاجر عليها السلام لما تركها أبونا إبراهيم عليه الصلاة والسلام هي ورضيعها قالت له: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولاشيء، فقالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آللّه أمرك بذلك، قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا).

فقولها عليها السلام: (إذن لا يضيعنا) يدل على عدة أمور منها:

أ) صدق التسليم لأمر الله والرضا بقضائه وقدره.

ب) حسن الظن باللّٰه جل جلاله، [إذن لا يضيعنا]، فكان اللّٰه جل جلاله عند حسن ظنها فلم يضيعها وابنها، فحفظهم، وانبع لهم ماء زمزم، [طعام طعم وشفاء سقم]، وآنس وحشتهم بأن ساق لهم قبيلة جرهم فسكنوا مكة معهم.

ج) ويدل قولها عليها السلام: [إذن لا يضيعنا] على صدق توكلها واعتماد قلبها على خالقها جل شأنه.

فحسن الظن باللّٰه من أجلِّ أعمال القلوب وأعظمها، حيث إن هذه العبادة القلبية أخذت عظمتها من عظمة منشئها، فهي تنشأ في قلب المؤمن من العلم باللّٰه جل جلاله وبأسمائه وصفاته وأفعاله.

فكلما أزداد المؤمن من هذا العلم، كلما ازداد حسن ظنه بربه جل وعلا، وكلما قلَّ حظه منه، كلما ضعف حسن ظنه بربه حتى يصل به الأمر إلى القنوط من رحمة اللّٰه، واليأس من روحه جل وعلا، بل قد يصل به عياذًا باللّٰه إلى سوء الظن باللّٰه.

ومن ثمرات حسن ا لظن باللّٰه:

١ - اجابة الدعوات، وكشف الكربات، وإقالة العثرات، وقبول التوبات، والاثابة على الأعمال الصالحات.

٢ - الثبات والطمأنينة والسكينة والرضا والسعادة.

٣ - تنفي عن القلب القنوط من رحمة اللّٰه، واليأس من روحه، وسوء الظن به جل شأنه.

٤ - قوة التوكل على الله، والعزيمة والاقدام، والفأل والأمل الحسن.

ورغم هذا التوكل العظيم الذي هو أثبت من الجبال الراسيات لم تترك الأسباب بل سعت بين الصفا والمروة مرارًا طلبًا للماء أو من يساعدها ورضيعها، فكان الفرج قريب.

والتوكل على الله من أعمال القلوب التي يجب على المؤمن أن يتعبد لله جل وعلا بها، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى عن معنى التوكل: (فالتوكل: محض الاعتماد والثقة والسكون إلى من له الأمر كله، وعلم العبد بتفرد الحق تعالى وحده بملك الأشياء كلها، وأنه ليس له مشارك في ذرةٍ من ذرات الكون: من أقوى أسباب توكله، وأعظم دواعيه.

فإذا تحقق ذلك علمًا ومعرفة، وباشر قلبه حالاً: لم يجد بدًا من اعتماد قلبه على الحق وحده، وثقته به، وسكونه إليه وحده، وطمأنينته به وحده، لعلمه أن حاجاته وفاقاته وضروراته وجميع مصالحه كلها: بيده وحده، لا بيد غيره)[1].

٤ -للساعي بين الصفا والمروة أن يتذكر أمنا هاجر عليها السلام حين كانت تسعى بين الصفا والمروة فرغم صدق توكلها وعملها بالأسباب، لم تقتصر على هذه العبادة فقط – وأن كان صدق التوكل لوحده سبب

(١) (مدارج السالكين) (٢/٣٩٣).

لتفريج الكربات قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، أي كافيه بل جمعت بين التوكل والتضرع وإظهار الافتقار لله جل وعلا مما عجل بتفريج الكربة وزوال المحنة.

وهذا يذكرنا بحال أبينا إبراهيم عليه السلام فهو مع تسليمه لأمر الله جل وعلا، لما كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت ودعا لهم بهذه الدعوات: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

يقول ابن كثير رحمه الله تعالى ذكرًا حال أمنا هاجر عليها السلام عند سعيها بين الصفا والمروة مبينًا تضرعها وفقرها لله جل وعلا فيقول: (فلم تزل تردد في هذه البقعة المشرفة بين الصفا والمروة متذللة خائفة وجلة مضطرة فقيرة إلى الله عز وجل، حتى كشف الله كربتها، وآنس غربتها، وفرج شدتها، وأنبع لها زمزم التي ماؤها طعام طُعم، وشفاء سُقم، فالساعي بينهما ينبغي له أن يستحضر فقره وذُلَّه وحاجته إلى الله في هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنبه، وأن يلتجئ إلى الله، عز وجل ليُزيح ما هو به من النقائص والعيوب، وأن يهديه إلى الصراط المستقيم، وأن يثبته عليه إلى مماته، وأن يحوله من حاله الذي هو عليه من الذنوب والمعاصي، إلى حال الكمال والغُفران والسداد والاستقامة، كما فعل بهاجر عليها السلام)[1].

(١) (تفسير القرآن العظيم) (١/٤٧١-٤٧٢).

ولأهمية عبادة الافتقار إلى الله جل وعلا في حياة المسلم عمومًا والحاج والمعتمر خصوصًا كان لابد من بيان معنى هذه العبادة ومنزلتها:

فالافتقار إلى الله جل وعلا من أعمال القلوب، وله منزلة عالية، ودرجة رفيعة في الدين؛ إذ هو روح الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، فأعمال وأقوال لا روح لها فهي موات لا نفع فيها.

قال ابن قدامة رحمه الله تعالى حين أوصى أحد إخوانه: (اعلم أن من هو في البحر على اللوح ليس بأحوج إلى الله وإلى لطفه ممن هو في بيته بين أهله وماله، فإذا حققت هذا في قلبك فاعتمد على الله اعتماد الغريق الذي لا يعلم له سبب نجاة غير الله)[1].

وقال ابن القيم رحمه الله مبينًا منزلة الافتقار إلى الله جل وعلا: (هو حقيقة العبودية ولُبُّها)[2].

ومن هذا المعنى الدقيق لمنزلة الافتقار إلى الله في الدين، ننظر إلى منزلته من وجهين:

**أولاً**: إن المرء لا يمكن أن يحقق معاني العبودية لله جلا وعلا حتى يحقق معاني الافتقار إلى الله جل وعلا ظاهرًا وباطنًا.

فبقدر تحقيقه لمعاني الافتقار إلى الله جل شأنه يكون علوه في مدارج العبودية، وبقدر تقصيره في ذلك تكون منزلته في العبودية.

---

(٢) (الوصية المباركة) لابن قدامة، ص (٧٧).

(٢) (مدارج السالكين) (٣/٢٨٦).

(٢) (مدارج السالكين) (٣/٣٤) وانظر (الوافي) للذهبي (١/٥٤٥) وانظر (صحيح الترغيب والترهيب) للألباني رقم

وعلى هذا فتفاوت الناس في العبودية لله جل وعلا على حسب تفاوتهم في تحقيق معاني الافتقار إلى الله جل وعلا.

لذا لما كان النبي ﷺ أعظم الخلق تحقيقًا لمعاني الافتقار إلى الله جل وعلا كان هو أعظمهم عبودية له تبارك وتعالى.

يقول ابن القيم رحمه الله في هذا المعنى: (فأكمل الخلق أكملهم عبودية وأعظمهم شهودًا لفقره وحاجته وضرورته إلى ربه وعدم استغنائه عنه طرفة عين؛ ولهذا كان من دعائه ﷺ: "**أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا إلى أحدٍ من خلقك**"[(١)].

وكان يدعو: **(يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)**[(٢)]، يُعلِّم ﷺ أن قلبه بيد الرحمن عز وجل لا يملك هو منه شيئًا، وأن الله عز وجل يصرفه كما يشاء، وكيف وهو يتلو قوله عز وجل: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٤][(٣)].

**ثانيًا**: أن الافتقار إلى الله جل وعلا هو روح أنواع العبادة وبقدره في قلب العبد يكون أثرها عليه في أمور دينه ودنياه.

---

(١) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/٥٤٥) وانظر (صحيح الترغيب والترهيب) للألباني رقم (٦٥٤).

(٢) رواه أحمد رقم (١٧٦٣٠) والترمذي رقم (٢١٤٠) وابن ماجه (٣٨٣٤) وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه) رقم (٣٠٩٢).

(٣) (طريق الهجرتين وباب السعادتين) لابن القيم (١/١٦-١٧)، طبعة دار عالم الفوائد.

فالافتقار إلى الله جل وعلا: هو أن يشهد العبد ويشعر شهودًا وشعورًا حقيقيًا يتبعه سلوك عملي بأن لا حول له ولا قوة إلا بالله، وهذا يعني عدم اعتماد العبد أو تعلقه بشيء من الدنيا أو أهلها حتى نفسه التي بين جنبيه؛ وذلك بتجرده الكامل عن كل شيء سوى الله جل وعلا، فهو فقير إلى الله غني به عمَّن سواه.

وهذا الشهود والشعور يكون دائمًا في كل لحظةٍ من لحظات عمره، ويكون كذلك في كل أمور دينه ودنياه.

وبقي من أعمال العمرة الحلق أو التقصير وقد أجلتُ الحديث عنهما في صفحة (١٠٦)، فأرجو من القارئ الكريم الرجوع إليها لتتم الفائدة بإذن الله.

# الفصل الثالث

## ( أعمال القلوب في الحج )

- يوم التروية.
- يوم عرفة.
- المبيت بمزدلفة.
- رمي الجمار.
- ذبح الهدي.
- الحلق أو التقصير.
- طواف الإفاضة.
- أيام التشريق.
- الأعمال بخواتيمها.
- طواف الوداع.
- الاستقامة بعد الحج

## يوم التروية

هو أول أيام الحج وهو ثامن ذي الحجة سمي بذلك لأن الناس – قبل أن يخرجوا من مكة إلى منى – كانوا يترووون فيه الماء لما بعده، إذ لم يكن بمنى ولا عرفات ماء، فيتزودون من الماء ما يكفيهم أيام منى وعرفات، وأما الآن فكثر الماء، واستغنوا عن حمله[1].

والمتأمل في هذا اليوم العظيم يجد أنه استعداد وتهيؤ ليوم عرفة، ففيه استعداد حسي ومعنوي ومن ذلك:

١ - يسن لمن كان متمتعًا أو من يريد الحج من أهل مكة أن يحرم في ضحى يوم التروية من مكانه، وأن يمسك عن محظورات الإحرام وفي هذا أثر على القلب أيما تأثير[2].

٢ -يسن للحاج التوجه إلى منى والصلاة بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر قصرًا للرباعية بدون جمع كما فعل النبي ﷺ.

٣ -يشرع في ذلك اليوم التلبية والتكبير والذكر والاستغفار وتلاوة القرآن وفي هذا استعداد وتهيؤ للقلب.

وعلى قدر استعداد القلب وتهيئه في يوم التروية تكون ثمراته عليه يوم عرفة.

ومن لم يكن مستعدًا يوم التروية فلربما يصعب عليه لمَّ شعث قلبه يوم عرفة، والله المستعان.

فعلى الحاج أن يهيئ قلبه، لعل الله جل وعلا أن يقبل حجه، فإن الحج عرفة.

---

(١) انظر (حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع) للشيخ عبد الرحمن ابن قاسم (١٢٦/٤).

(٢) ارجع إلى موضوع (الإحرام من الميقات) ص(٥٤)، و(محظورات الإحرام) ص (٧٩)، ففيهما جملة من أعمال القلوب على الحاج أن يستشعرها ليطمئن قلبه وتقرَّ عينه، ويتهيئه –كذلك – ليوم عرفة.

## يوم عرفة

يوم عرفة من أجل أيام الحج وأعظمها، وقد بين النبي ﷺ فضل هذا اليوم ومكانته بقوله: (**الحج عرفة**)[١].

وفي هذا اليوم العظيم عدة معانٍ جليلة تليق بمكانة هذا اليوم العظيم منها:

١ -يوم عرفة يوم من أيام الله حيث يجتمع الجمع الغفير من الحجاج في صعيد واحد ضاحين كاشفي الرؤوس باكين خاضعين، يتجاذب قلوبهم الخوف والرجاء، الخوف من عدم القبول بسبب الذنوب والمعاصي، والرجاءُ لسعة رحمة الله جل وعلا، وأن هذا المشهد العظيم ليذكر العبد بجمع يوم التغابن، فمقبول مغفور له، أو مردود معاقب بذنوبه.

يقول ابن قدامة رحمه الله تعالى: (وأما الوقوف بعرفة: فاذكر بما ترى فيه من ازدحام الخلق، وارتفاع أصواتهم، واختلاف لغاتهم موقف القيامة، واجتماع الأمم في ذلك الموطن، واستشفاعهم)[٢].

يقول محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى عن يوم عرفة: (وما أصدق من شبهه بيوم القيامة، وقد يكون التشبيه على أكمله في ذلك المساء، فإنه يكون فيه لكل مؤمن من الشغل بنفسه والتوجه إلى ربه مالا يعهد مثله في وقت من أوقات حياته، يشعر -والناس محيطون به من كل جانب – بأنه في خلوة لا يشغل فيها عن ربه شاغل، ولا يشوب خشوعه له

---

(١) رواه الترمذي رقم (٨٨٩)، وصححه الألباني في (صحيح سنن الترمذي) رقم (٧٠٥).

(٢) (مختصر منهاج القاصدين) ص (٥٤).

وبكاءه من خشيته وسروره بمناجاته رياء ولا سمعة، بل لا يكاد يخطر بباله أن أحدًا هنالك يرى أحدًا)[١].

٢ -وهناك ثمة فرق بين يوم القيامة ويوم عرفة، وذلك أن الله جل وعلا يجيء يوم القيامة للقضاء والحساب: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، فيجازي المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته.

أما موقف يوم عرفة فإن الله جل وعلا يدنو من عباده عشية عرفة دنوًا يليق بجلاله وعظمته ليغفر ذنوبهم، ويستجيب دعواتهم، ويعتق رقابهم ويباهي بهم ملائكته، قال ﷺ: (**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء**)[٢].

فإذا استشعر الحاج قرب الله جل وعلا، قوي رجاؤه واطمأن قلبه وسمت روحه وأنست نفسه.

قال ابن المبارك: جئت إلى سفيان الثوري عشية عرفة، وهو جاثٍ على ركبتيه، وعيناه تهملان، فالتفت إليَّ، فقلت له: من أسوأ هذا الجمع حالاً؟ قال: الذي يظن أن الله لا يغفر لهم.

٣ -الدعاء في يوم عرفة من مواطن الإجابة، ذلك أنه قد اجتمع فيه قربان، قرب الله جل وعلا من أهل الموقف (**وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة**) وهذا قرب خاص، والقرب الآخر قربه جل وعلا من الداعي

---

(١) نقلا من (الشوق إلى الحرمين) تأليف محمد بن موسى الشريف ص (٦٤-٦٥).

(٢) رواه مسلم رقم (١٣٤٨).

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[البقرة: ١٨٦].

وإذا استحضر الحاج قرب الله جل وعلا منه، وأنه أقرب إليه من كل قريب، فإن ذلك أدعى لمحبته والأنس به، وأدعى لقوة رجائه، وأدعى للخضوع والذل له، والتضرع بين يديه، وإظهار الافتقار والحاجة إليه جل وعلا.

يقول ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى مبينًا أحوال الناس في دعاء يوم عرفة: (وعما قليل تقف إخوانكم بعرفة في ذلك الموقف فهنيئًا لمن رزقه [الله الوقوف بعرفة، وجعله ممن][(١)] يجأرون إلى الله بقلوب محترقة ودموع مستبقة، فكم فيهم من خائف أزعجه الخوف وأقلقه، ومحب ألهبه الشوق وأحرقه، وراج أحسن الظن بوعد الله وصدَّقه، وتائب نصح لله في التوبة وصَدَقَه، وهارب لجأ إلى باب الله وطرقه، فكم هنالك من مستوجب للنار أنقذه الله وأعتقه، ومن أسير للأوزار فكه وأطلقه، وحينئذٍ يطلع عليهم أرحم الرحماء ويباهي بجمعهم أهل السماء ويدنو ثم يقول: (ما أراد هؤلاء؟)[(٢)].

والدعاء في يوم عرفة وفي غيره نوعان: دعاء مسألة ودعاء عبادة، فدعاء المسألة كطلب نفع أو دفع ضر، وأما دعاء العبادة فهو الذكر.

ويدخل في دعاء العبادة قول ابن عمر رضي الله عنهما: (كنا مع رسول الله ﷺ في غداة عرفة فمنا المكبر، ومنا المهلل)[(٣)].

---

(١) ما بين الأقواس إضافة ليتم بها المعنى.

(٢) انظر (كتاب لطائف المعارف) ص (٣١٢).

(٣) رواه مسلم رقم (١٢٨٤).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾[الأعراف: ٢٠٥]، فأمر تعالى نبيه ﷺ أن يذكره في نفسه، قال مجاهد وابن جريج: أمروا أن يذكروه في الصدور بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت والصياح، وتأمل كيف قال في آية الذكر: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ ﴾، الآية، وفي آية الدعاء: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف: ٥٥]، فذكر التضرع فيهما معًا وهو التذلل، والتمسكن، والانكسار وهو روح الذكر والدعاء)[(١)].

فعلى الحاج الإكثار من الذكر والدعاء في هذا اليوم العظيم اقتداءً بالنبي ﷺ وصحبه الكرام رضوان الله عليهم، وألا يكثر من الدعاء ويدع الذكر فكل واحد منهما متضمن للآخر وثمرتهما واحدة.

كما ينبغي بل يتأكد عليه الحرص كل الحرص على التضرع إلى الله بصدق وإخلاص حال الذكر والدعاء، لأنه روحهما، وذكر ودعاء لا روح فيهما قد لا يقبلان، والله المستعان وعليه التكلان.

وقد كان النبي ﷺ كثير التضرع إلى الله جل وعلا في مناجاته وذكره ودعائه، ومن ذلك تضرعه عليه الصلاة والسلام عشية عرفة.

فقد قضى عشية يومه ذلك، في حال من التضرع واللهج بالدعاء، حتى ظن أصحابه أنه قد صام يومه ذلك[(٢)]، فأرسلت إليه أم الفضل بن

---

(١) (مجموع الفتاوى) (١٥/١٩-٢٠).

(٢) اختلف بعض الصحابة رضي الله عنهم في حجة الوداع في يوم عرفة، فمنهم من قال: أن النبي ﷺ صائم ومنهم من قال: ليس بصائم، فعن أم الفضل بنت الحارث أن أناسًا اختلفوا عندها يوم عرفة في صوم النبي ﷺ، فقال بعضهم هو صائم، وقال بعضهم ليس بصائم؛ فأرسلت إليه بقدح وهو واقف على بعيره فشربه) رواه البخاري رقم (١٦٦١).

العباس رضي الله عنهما بقدح لبن، وهو واقف على بعيره، فشرب منه والناس ينظرون إليه، وكان في دعائه رافعًا يديه إلى صدره، حتى رؤي بياض أبطيه، باسطًا كفيه كاستطعام المسكين، منكسرًا لربه عز وجل خاضعًا خاشعًا متذللاً له، مستغرقًا في مناجاته، كأنما يسارع لحظات هذا اليوم أن تفلت لحظة لا يَلْهَجُ فيها بذكر أو يُلِظُّ فيها بدعوة، حتى أنه عندما اضطربت به راحلته، فسقط خطامها تناوله بيد، وأبقى يده الأخرى مبسوطة يدعو بها.

وكان ﷺ لهجًا بالثناء على الله تهليلاً وتحميدًا وتلبية)[1].

قال الأوزاعي رحمه الله تعالى: (أفضل الدعاء الإلحاح على الله والتضرع إليه)[2].

والتضرع إلى الله جل جلاله عبادة قلبية لها أثر على الأعضاء والجوارح[3].

والتضرع إلى الله جل وعلا يكون في الذكر والدعاء.

فما تضرع مؤمن لله جل وعلا في ذكره إلا وجد حلاوة الإيمان والأنس والفرح والسرور والطمأنينة والقوة والبركة.

وما تضرع مؤمن لله جل وعلا في دعائه إلا وجد الفرج والرزق والنصر.

---

(١) (كأنك معه: صفة حجة النبي ﷺ كأنك معه) ص (٩٣-٩٥).

(٢) (مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي) (١/٣٠٧).

(٣) ارجع إلى عنوان (الطواف بالبيت) ص (٩٠)، ففيه حديث عن (الذل والانكسار بين يدي الله جل وعلا)، و(السعي بين الصفا والمروة) ص (١١٧)، ففيه حديث عن (الافتقار إلى الله جل وعلا).

## المبيت بمزدلفة

إذا غابت شمس يوم عرفة، دفع الحجاج إلى مزدلفة ملبين ومكبرين، وعليهم السكينة والوقار حتى يأتون مزدلفة [١].

قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ (البقرة: ١٩٨).

قال البغوي رحمه الله تعالى: (قوله تعالى: {فاذكروا الله} بالدعاء والتلبية {عند المشعر الحرام} وهو ما بين جبلي المزدلفة من مأزِمَيْ عرفة إلى المحسِّر.

قال طاووس: كان أهل الجاهلية يدفعون من عرفة قبل أن تغيب الشمس، ومن مزدلفة بعد أن تطلع الشمس ويقولون: أشرق ثبير[٢] كيما نغير، فأخَّر الله هذه وقدم هذه) [٣].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (ودفع رسول الله ﷺ وقد شنق[٤] للقصواء الزمام – حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده اليمنى: "**أيها الناس السكينة السكينة**" كلما أتى حبلاً من الحبال[٥] أرخى لها

---

(١) انظر (موسوعة نضرة النعيم) حاشية (٧) (١٥٣٦/٤).

(٢) جبل بين مكة ومنى وهو على يمين الداخل منها إلى مكة.

(٣) (معالم التنزيل) للبغوي (١٨٤/١-١٨٥) طبعة دار طيبة.

(٤) شنق: ضَمَّ، وضيق.

(٥) الحبال: جمع حبل، وهو التل اللطيف من الرمل الضخم.

قليلاً، حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد، وإقامتين ولم يسبِّح بينهما شيئًا، ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة، فدعاه وكبَّره وهلَّله ووحَّده، فلم يزل واقفًا حتى أسفر جدًا فدفع قبل أن تطلع الشمس)[1].

وفي الآية السابقة، وحديث جابر بيان لفضل ليلة مزدلفة، وما فيها من أعمال إما تجب أو تسن في حق الحاج، ولهذه الأعمال ثمار قلبية ومعان إيمانية منها:

١ -يجب على الحجاج المبيت بمزدلفة حتى الفجر، والترخيص للضعفة ومن في حكمهم في الدفع إلى منى بعد منتصف الليل.

والمبيت يعني اللبث في المكان ليلاً، ولكن هناك معنى زائد على المبيت في مزدلفة، وهو النوم بعد صلاة المغرب والعشاء.

وهذا سنة عن النبي ﷺ كما دلَّ عليه حديث جابر رضي الله عنه.

وتجدر الإشارة إلى أن كثيرًا من الحجاج -هداهم الله- يغفلون عن هذه السنة فينشغلون عنها بالكلام والحديث فيما بينهم أول الليل، بل إن فئامًا منهم قد يتحدثون إلى منتصف الليل، بل ربما أكثر من ذلك، وفي ترك السنة دون مانع تفويت لخير كثير، فالسنة كلها بركة.

وما تمسك أحد بالسنة النبوية وتقيد بها إلا شملته البركة – بقدر تمسكه بها – في نفسه وأهله وولده وماله ووقته.

---

(١) رواه مسلم رقم (١٢١٨).

يقول أبو العباس ابن عطاء: (من ألزم نفسه آداب السنة غمر الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه)[1].

٢ - ذكر الله جل وعلا بعد صلاة الفجر عند المشعر الحرام – ومزدلفة كلها مشعر – بالدعاء والتكبير والتهليل حتى الإسفار، ثم الدفع إلى منى قبل شروق الشمس مخالفة لفعل المشركين إذ لا يدفعون إلى منى حتى تشرق الشمس.

والذكر هو شعار المحبين، فعلى قدر محبة المؤمن لربه يكون ذكره له جل وعلا، ولذا أمر الله جل وعلا بذكره في عدة مواضع من الحج:

قال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ ﴾[البقرة: ١٩٨].

وقال جل وعلا: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۚ ﴾ [البقرة: ١٩٩]، والاستغفار نوع من أنواع الذكر.

وقال جل شأنه: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾[البقرة: ٢٠٠].

---

(١) (الحلية) (١٠/٣٠٢).

وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾[البقرة: ٢٠٣]، وهي أيام التشريق.

وقال عز وجل: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾[الحج: ٣٤].

والذكر له روحان لا يؤتي أكله وثماره يانعة إلا بهما، وهما التضرع والخوف وهما عبادتان قلبيتان إذا خلى القلب منهما فالذكر لا روح فيه.

قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

٣ -في قوله جل وعلا: ﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [البقرة: ١٩٨]. فالذكر الأول ذكر عام والذكر الثاني ذكر شكر وإنعام.

قال القرطبي رحمه الله تعالى، قوله تعالى: {واذكروه كما هداكم}، قيل: الأول أمرٌ بالذكر عند المشعر الحرام، قيل: المراد بالثاني تعديد النعمة وأمرٌ بشكرها؛ ثم ذَكَّرَهُم بحال ضلالهم ليظهر قدر الإنعام فقال: {وإن كنتم من قبله لمن الضالين})[1].

(١) (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي (١/٣٩٨-٣٩٩) باختصار.

وما حفظت النعم وزيد في بركتها بأفضل من شكر المنعم جل وعلا عليها، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧].

وما محقت النعم وذهبت بركتها بأشد من كفرانها، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[إبراهيم: ٧].

يقول ابن القيم عن منزلة الشكر: (وهي من أعلى المنازل، وهي فوق منزلة "الرضى" وزيادة، فالرضى مندرج في الشكر. إذ يستحيل وجود الشكر بدونه.

وهو نصف الإيمان – كما تقدم – والإيمان نصفان: نصف شكر، ونصف صبر[١].

٤ -عن عمر بن ميمون قال شهدتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلى بجمعٍ الصبح ثم وقف فقال: (إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس، ويقولون: أشرق ثبير، وإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خالفهم ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس)[٢].

فمخالفة المشركين في الإفاضة من عرفة بعد مغرب الشمس، والدفع من مزدلفة مع الإسفار قبل طلوع الشمس أمر مقصودٌ شرعًا.

---

(١) (مدارج السالكين) (٢/٥٧٢).

(٢) رواه البخاري رقم (١٦٨٤).

إذ أن الحج ومشاعره من إرث أبينا إبراهيم عليه السلام، لكن المشركين بدلوا فزادوا فيه ونقصوا، فجاء النبي ﷺ فأعاد الحج ومشاعره على ما كان عليه من عهد أبينا إبراهيم عليه السلام.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (الشريعة قد استقرت – ولا سيما في المناسك – على قصد مخالفة المشركين)[1].

فمخالفة المشركين في الحج وفي غيره أمر مطلوب شرعًا لعدة أسباب منها:

أ -ليحصل التميُّز بين المسلمين والمشركين في الحج ومشاعره، بل وكذلك بين المسلمين واليهود كما في صيام يوم عاشوراء، فالنبي ﷺ كان يتعمد مخالفة المشركين وكذلك أهل الكتاب.

وعدم المشابهة المقصود منها لئلا يحصل لبس أو تلبيس بين دين الإسلام وغيره من الأديان، فيظن أن الفرق بينها يسير، سواءً عند العامة من المسلمين، أو عند الكفار ممن لا يعرف حقيقة الإسلام والشرك والكفر، أو ممن يحاول أن يقرب بين الإسلام وغيره من الأديان والمذاهب الكفرية بشبه واهية. فحقيقة الأمر، ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦].

ب - المشابهة في الحقيقة لها أثر كبير على القلب ومن ثم على الأخلاق وهكذا حتى تصل إلى -لا قدر الله - إلى العقيدة.

---

(١) (حاشية ابن القيم على سنن أبي داود) (١٤٦/٥).

وعلى هذا فالمشابهة في الظاهر لها أثر على المشابهة في الباطن، وكذلك لها أثر على المحبة والائتلاف، ولهذا أمر الله جل وعلا ورسوله ﷺ بمخالفة المشركين وأهل الكتاب وغيرهم والتميُّز عنهم في الظاهر والباطن، وعدم التساهل في ذلك.

وتميز المسلم بشخصيته الإسلامية المتكاملة القائمة على منهاج النبوة له أثر بالغ في ثباته على دينه وعدم النكوص والرجوع أو المداهنة والتنازل عن شيء من دينه أمام تحديات الشهوات والشبهات، وأمام تحديات الكفار والمنافقين.

وللمسلم الصادق في أصحاب رسول الله ﷺ قدوة حسنة، فلقد كان الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، ما أن يسلم أحدهم حتى يترك كل ماضيه في الجاهلية، وكأنما خلق من جديد.

قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[الأنعام: ١٢٢].

فماضي الصحابي رضي الله عنه شيء، وحاضره في إسلامه شيء آخر، وذلك بمفارقته وتميزه عن المجتمع الجاهلي من حوله – وإن كان يعيش بين ظهرانيهم ويبيع ويشتري منهم – بعقيدته وعبادته وعلاقاته وشؤون حياته، في هديه وسيرته، ولم يقف عند ذلك، بل تبرأ وعادى كل أصنام الجاهلية وأوثانها ومعتقداتها وعاداتها بل وأهلها، كل ذلك على منهاج النبوة، فكان لسان حاله ومقاله يقول للجاهلية وأهلها: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

فتميزه ومفارقته الواضحة كانت – بتوفيق الله – سببًا في ألا يكون لماضيه في الجاهلية من معتقدات وعبادات وشهوات، ولا لأهلها بإغراءاتهم ومساوماتهم، وتعذيبهم وسجنهم أثر عليه في إسلامه فهو ثابت على دينه كالجبل الأشم لا يتزعزع عنه، ولا يتنازل عن شيء منه.

ولقد كانت حياة الصحابة – رضوان الله عليهم – كلها تميز من بداية إسلام أحدهم إلى مماته، ولكن بعض الصور من حياتهم – رضوان الله عليهم – يتضح فيها التميز أكثر من غيرها، فمن هذه الصور:

١ -لما أسلم عمر بن الخطاب أتى إلى جميل بن معمر الجمحي، وكان أنقل قريش للحديث، فأخبره أنه أسلم، فنادى جميل بأعلى صوته: إن ابن الخطاب قد صبأ فقال عمر -وهو خلفه -: كذب، ولكني قد أسلمت، فثاروا إليه فما زال يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم، وطلح عمر – أي: أعيا – من التعب، فقعد، وقاموا على رأسه، وهو يقول: "افعلوا ما بدا لكم" فأحلف بالله أن لو كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا[1].

الله أكبر، ما كان بين إسلامه ﷺ وبين أن قاتلهم وقاتلوه، وقوله لهم: "افعلوا ما بدا لكم..." إلا سويعات معدودة هذا هو التميز الحقيقي.

٢ -لما أسلم سعد بن معاذ قَفَلَ راجعًا من عند مصعب بن عمير وأسعد بن زرارة – ﷺ أجمعين – إلى نادي قومه ومعه أسيد بن الحضير

(١) انظر (الرحيق المختوم) لصفي الدين الرحمن المباركفوري ص (١٢٠).

رضي الله عنه فلما وقف عليهم قال: "يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ فقالوا: سيدنا وأفضلنا رأيًا وأيمننا نقيبة، فقال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قال -الراوي-: فو الله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلمًا ومسلمة"[1].

(١) (البداية والنهاية) لابن كثير (٣٨١/٤) طبعة دار هجر.

## رمي الجمار

رمي الجمار من شعائر الحج وواجباته، إذ يجب على الحاج أن يرمي في يوم النحر العقبة الكبرى فقط.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن أسامة بن زيد رضي الله عنهما كان رِدْف النبي ﷺ من عرفة إلى المزدلفة، ثم أردف الفضل من المزدلفة إلى منى، قال فكلاهما قالا: لم يزل النبي ﷺ يلبي حتى رمى جمرة العقبة)[1].

أما في أيام التشريق فإن الحاج يرمي الجمرات بعد زوال الشمس، يبدأ بالصغرى ثم يدعو بعدها، ثم الوسطى ويدعو بعدها، ثم الكبرى ثم ينصرف ولا يدعو.

فقد روى البخاري بسنده عن الزهري "أن النبي ﷺ كان إذا رمى الجمرة التي تلي مسجد منى يرميها بسبع حصيات، يكبر كلما رمى بحصاة، ثم تقدم أمامها فوقف مستقبل القبلة، رافعًا يديه يدعو، وكان يطيل الوقوف، ثم يأتي الجمرة الثانية فيرميها بسبع حصيات، يكبر كلما رمى بحصاة، ثم ينحدر ذات اليسار مما يلي الوادي، فيقف مستقبل القبلة رافعًا يديه يدعو، ثم يأتي الجمرة التي عند العقبة فيرميها بسبع حصيات، يكبر عند كل حصاة، ثم ينصرف ولا يقف عندها، قال الزهري: "سمعت سالم بن عبد الله يحدث مثل هذا عند أبيه عن النبي ﷺ، وكان ابن عمر يفعله)[2].

---

(١) رواه البخاري رقم (١٦٨٦-١٦٨٧).

(٢) رواه البخاري رقم (١٧٥٣).

هكذا رمى النبي ﷺ ودعا، وهكذا يفعل الحجاج اقتداءً به ﷺ، وليس رمي الجمار رميًا للشيطان نفسه، وإنما المعنى رجم له حيث أن ذلك يغيضه، ورمي الجمار سنة متبعة، وأثر يقتفى، وهي من إرث أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام جدده نبينا محمد ﷺ.

وأصل مشروعية الرمي ما ذكره الله جل وعلا في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠١ -١٠٢].

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لما أتى إبراهيم خليل الله صلوات الله وسلامه عليه المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة، فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثانية، فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثالثة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، قال ابن عباس: فالشيطان ترجمون وملة أبيكم إبراهيم تتبعون)[1].

وشعيرة رمي الجمرات هي أكثر شعائر الحج العملية تكرارًا، والأصل في القيام بها التسليم لله جل وعلا، واتباع النبي ﷺ.

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه رقم (١٧١٣) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الألباني في (صحيح الترغيب والترهيب).

يقول ابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى: (فإذا رميت الجمار فاقصد بذلك الانقياد للأمر، وإظهار الرق والعبودية، ومجرد الامتثال من غير حظ النفس)[١].

ومع التسليم لله جل وعلا، واتباع النبي ﷺ في رمي الجمرات، حكمًا وعبرًا نسعى لِتَلَمُسِهَا لعل منها:

١ -التذكير بعداوة الشيطان وإصراره على إغواء بني آدم، وعدم يأسه من ذلك.

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: (فذكر الله الذي شُرع الرمي لإقامته هو الاقتداء بإبراهيم في عداوة الشيطان ورميه، وعدم الانقياد إليه، والله يقول: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ [الممتحنة: ٤] الآية، فكأن الرمي رمز وإشارة إلى عداوة الشيطان التي أمرنا الله بها في قوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[فاطر: ٦]، وفي قوله منكرًا على من والاه ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الكهف: ٥٠] الآية، ومعلوم أن الرجم بالحجارة من أكبر مظاهر العداوة)[٢].

وهكذا المؤمن يجب عليه أن يعلم أن شياطين الجن والإنس لن ييأسوا من محاولة إغوائه ما دامت روحه تسري في جسده، وسيأتونه بشهوات وشبهات وبحبائل ومصائد شتى، ولكن يجب عليه في المقابل أن يستعين بالله حقًا ويتوكل عليه صدقًا، ويحذر كل الحذر من مكائد

---

(١) (مختصر منهاج القاصدين) ص (٥٥).

(٢) (أضواء البيان) (٣٤١/٥).

شياطين الجن والإنس، وأن يجاهد نفسه في ذلك، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾[العنكبوت: ٦٩].

٢ -يشرع عند رمي الجمرة الأولى والوسطى الدعاء بعدهما والإطالة بتضرع واستكانة، وهذا الأمر يشعر المؤمن بحاجته لربه جل وعلا وشدة افتقاره إليه، فهو برميه للجمرات كأنه يرمي شياطين الجن والإنس، ويرمي نفسه الأمارة بالسوء ويرمي هواه وشهواته، ولكنه محتاج ومفتقر إلى الله جل وعلا حق الافتقار، فهو يسأله ويدعوه ويبتهل ويتضرع إليه أن يعينه أن يرمي كل من يحول بينه وبين ربه جل وعلا، كائنًا من كان، وأن يثبته على دينه ويستعمله في مرضاته، فإنه لا حول له ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1].

(١) ارجع إلى موضوع (السعي بين الصفا والمروة) ص (٧٢) ففيه حديث عن (الافتقار إلى الله جل وعلا). و(يوم عرفة) ص (٨٣) ففيه حديث عن (التضرع إلى الله جل وعلا).

## ذبح الهدي

الهدي ما يُهدى للحرم، من نَعَم وغيرها، سمي بذلك لأنه يهدى إلى الله سبحانه وتعالى[١].

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (أهدى النبي ﷺ مائة بدنه، فأمرني بلحومها فقسمتها، ثم أمرني بجلالها فقسمتها، ثم بجلودها فقسمتها)[٢].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (ثم انصرف إلى المنحر بمنى: فنحر ثلاثًا وستين بدنه بيده، وكان ينحرها قائمة، معقولةً يدها اليسرى، وكان عدد هذا الذي نحره عدد سني عمره ثم أمسك وأمر عليًا أن ينحر ما غبر[٣] من المائة)[٤].

ولقد كان يكفيه ﷺ أن يذبح في حجه شاة أو سبع بدنه أو سبع بقرة، ولكن أهدى مائة بدنة تعظيمًا لله جل وعلا.

وذبح الهدي والأضاحي من أجلِّ وأخص العبادات عمومًا، وأجلِّ العبادات المالية خصوصًا، وهذه العبادة العظيمة تكتنفها أعمال قلوب كثيرة ينبغي للمؤمن استحضارها عند القيام بهذه العبادة منها:

---

(١) انظر (حاشية الروض المربع) للشيخ عبد الرحمن ابن قاسم (٤/٢١٥).

(٢) رواه البخاري رقم (١٧١٨).

(٣) أي ما بقي من المائة.

(٤) (زاد المعاد) (٢/٥٩) طبعة مؤسسة الرسالة.

١ -تعظيم الله جل جلاله، ولذا وجب ذكر اسم الله على الهدي والأضاحي عند الذبح إجلالاً وتعظيمًا لله عز وجل.

قال تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ﴾ [الحج: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ ﴾ [الحج: ٣٧] أي تعظموه وتجلوه[١].

وقال جل وعلا عن الهدايا والأضاحي ﴿ وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحج: ٣٦]، وبين جل جلاله أن تعظيمها من تقوى القلوب، وهو في الحقيقة من تعظيم الله جل وعلا ﴿ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴾[الحج: ٣٢].

٢ -الإخلاص لله جل وعلا عند ذبحها، قال تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ ﴾[الحج: ٣٧].

قال عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى عن هذه الآية: (أي: ليس المقصود منها ذبحها فقط، ولا ينال الله من لحومها ولا دمائها شيء، لكونه الغني الحميد، وإنما يناله الإخلاص فيها والاحتساب، والنية الصالحة، ولهذا قال: ﴿ وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ ﴾ ففي هذا حث وترغيب على الإخلاص في النحر، وأن يكون القصد وجه الله وحده، لا فخر ولا رياء، ولا سمعة، ولا مجرد عادة، وهكذا سائر العبادات، إن لم

(١) (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) لعبد الرحمن السعدي، ص (٥٣٩) طبعة مؤسسة الرسالة.

يقترن بها الإخلاص وتقوى الله، كانت كالقشور الذي لا لُبَّ فيه، والجسد الذي لا روح فيه[١].

٣ -سرور العبد وفرحه عند قيامه بهذه الطاعة لقربه من الله جل وعلا، وتواضعه له، وصدق افتقاره وحسن الظن به، وقوة اليقين، وطمأنينة القلب إليه جل وعلا.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[الكوثر: ٢]، وأجل العبادات المالية النحر، وأجل العبادات البدنية الصلاة، وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها من سائر العبادات، كما عرفه أرباب القلوب الحية، وأصحاب الهمم العالية، وما يجتمع له في نحره من إيثار الله، وحسن الظن به وقوة اليقين، والوثوق بما في يد الله أمر عجيب إذا قارن ذلك الإيمان والإخلاص، وقد امتثل النبي ﷺ أمر ربه فكان كثير الصلاة لربه كثير النحر، حتى نحر بيده في حجة الوداع ثلاثًا وستين بدنة، وكان ينحر في الأعياد وغيرها)[٢].

٤ -محبة الله جل وعلا؛ لأن في ذبح الهدايا والأضاحي إيثار لما يحب الله جل وعلا في هذه العبادة العظيمة على محبة المال، وإن غلا ثمن الذبيحة أو كَرُمَت عند أهلها.

---

(١) (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ص (٥٣٩) طبعة مؤسسة الرسالة.

(٢) (مجموع الفتاوى) (١٦/٥٣١-٥٣٢).

ولذا تجد من فقراء المسلمين – فضلاً عن أغنيائهم – من يحرص على جمع ماله كي يضحي أو يهدي في حجه إيثارًا لما يحب الله جل وعلا على محبته للمال.

ولعل هذا يذكرنا بأصل قصة الذبح وهو ما ذكر طرفًا منها في موضوع (رمي الجمار)[١].

يقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره لقصة إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴾[الصافات: ١٠٦]: (إن هذا: الذي امتحنا به إبراهيم عليه السلام لهو البلاء المبين أي: الواضح، الذي تبين به صفاء إبراهيم، وكمال محبته لربه، وخلته، فإن إسماعيل عليه السلام لما وهبه الله لإبراهيم، أحبه حبًا شديدًا، وإبراهيم عليه الصلاة والسلام خليل الرحمن، والخلة أعلى مراتب المحبة، لذا أراد تعالى أن يصفي وده ويختبر خلته – وهو العليم الخبير – فأمره بذبح ابنه بيده، فلما قدم حب الله، وآثره على هواه، وعزم على ذبحه، بقي الذبح لا فائدة فيه، فلهذا قال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠٦ -١٠٧][٢].

وهذه القصة العظيمة وهذا البلاء المبين لنا فيه عبرة وعظه، فحقيقة الأمر أنه لا يُعاب على المسلم في محبته لوالديه أو زوجه أو أبنائه أو إخوته

---

(١) (رمي الجمار) ص (١٥٨).

(٢) انظر (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ص (٧٠٦) بتصرف يسير.

أو شيء من ملاذ الدنيا المباحة شريطة أن لا يقدم أو يزاحم محبة الله جل وعلا ورسوله ﷺ في قلبه.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (لا عيب على الرجل في محبته لأهله، وعشقه لها، إلا إذا اشغله ذلك عن محبة ما هو أنفع له من محبة الله ورسوله، وزاحم حبَه وحبَ رسولِه، فإن كل محبة زاحمت محبة الله ورسوله، بحيث تضعفها وتنقصها فهي مذمومة)[1].

فإذا زاحمت هذه المحبوبات محبة الله جل وعلا ورسوله ﷺ في قلبه، فقد يكون عرضة لأن يبتليه ويمتحنه الله جل وعلا بمن يحب ليظهر صدق محبته لله جل وعلا ورسوله ﷺ من نقصها.

لذا يجب على المؤمن أن يراعي قلبه ويراقبه من حين لآخر كي لا يقع شيء من الدنيا أو أهلها في مزاحمة محبة الله جل وعلا ورسوله ﷺ فيشقى ويعذب بمن أحب وهو لا يشعر ولا يدري من أين أُتي.

ولو راجع قلبه وحاسب نفسه لعلم أنه أُتي من قبل محبته لغير الله نسأل الله العفو والعافية.

---

(١) (إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان) (٢/١٩٦).

## الحلق والتقصير

الحلق أو التقصير من واجبات الحج والعمرة في حق الرجل، إذ هو مخير بينهما وإن كان الحلق أفضل.

أما المرأة ففي حقها التقصير، فتقصر من شعرها بقدر الأُنملة من جميع أطرافه.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ﴾[البقرة: ١٩٦].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (حلق النبي ﷺ وطائفة من أصحابه وقصرَّ بعضهم)[(١)].

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**اللهم ارحم المحلقين**) قالوا: والمقصرين يا رسول الله، قال: (**اللهم ارحم المحلقين**) قوالو: والمقصرين يا رسول الله، قال: (**والمقصرين**)[(٢)].

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: (وفيه أن الحلق أفضل من التقصير، ووجهه أنه أبلغ في العبادة وأبين للخضوع والذلة وأدلُّ على صدق النية، والذي يقصر يبقي على نفسه شيئًا مما يتزين به، بخلاف الحالق فإنه يشعر بأنه ترك ذلك لله تعالى، وفيه إشارة إلى التجرد)[(٣)].

وفي الحلق أو التقصير عدة معان، وإن كانت في الحلق أظهر:

---

(١) رواه البخاري رقم (١٧٢٩).

(٢) رواه البخاري رقم (١٧٢٧)، و مسلم رقم (١٣٠٢، ١٣٠٣).

(٣) (فتح الباري) (٣/٥٦٤).

١ -إظهار التعبد لله والخضوع والذلة له جل وعلا، فإن الحاج والمعتمر يُطأطئ رأسه لحلاقه ليجزَّ شعره أو شيئًا منه تعبدًا لله ورقًا وخضوعًا وذلة، فهو يزيل شيئًا منه ليبرهن على صدق نيته في التذلل لربه جل وعلا.

٢ -انشراح الصدر، وسرور القلب، وفرح النفس بدعوة رسول الله ﷺ لهم بالرحمة والمغفرة.

٣ -فيه التجرد لله جل وعلا – وإن كان الحلق للرجال أبلغ – فإطالة الشعر وترجيله والتزين به عادة متعبة.

## طواف الإفاضة

طواف الإفاضة أحد أركان الحج، وللحاج أن يأتي به في يوم النحر أو أن يُأخره إلى أيام التشريق.

قال تعالى: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ [الحج: ٢٩].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: (أن النبي ﷺ أفاض يوم النحر، فصلى الظهر بمنى)[١].

قال سفيان الثوري: (قدمت مكة فإذا أنا بأبي عبد الله جعفر بن محمد – أي جعفر الصادق – قد أناخ بالأبطح، فقلت: يا ابن رسول الله لم جُعل الموقف[٢] من وراء الحرم؟ ولم يُصيَّرْ في المشعر الحرام؟ فقال: الكعبة بيت الله، والحرم حجابه، والموقف بابه، فلما قصده الوافدون، أوقفهم بالباب يتضرعون، فلما أذن لهم في الدخول، أدناهم من الباب الثاني وهو المزدلفة، فلما نظر إلى كثرة تضرعهم وطول اجتهادهم رحمهم، فلما رحمهم، أمرهم بتقريب قربانهم، فلما قربوا قربانهم، وقضوا تفثهم وتطهروا من الذنوب التي كانت حجابًا بينه وبينهم، أمرهم بزيارة بيته على طهارة)[٣].

---

(١) رواه مسلم رقم (١٣٠٨)، وأبو داود رقم (١٩٩٨) وغيرها.

(٢) أي عرفة جُعلت خارج حدود الحرم.

(٣) (سير أعلام النبلاء) للذهبي (٦/٢٦٤-٢٦٥).

وقد تحدثتُ عن أعمال القلوب في الطواف[١]، ولكن ثمة أمر ينبغي ذكره:

أن طواف الإفاضة ويسمى (طواف الزيارة) قد سبقه طواف القدوم للقارن والمفرد وكذلك طواف العمرة للمتمتع، وسيأتي بعدهما طواف الوداع.

فهنا ثلاث طوافات الأول طواف القدوم سنة، وطواف الإفاضة ركن من أركان الحج، وطواف الوداع واجب.

والملاحظ هنا أن من طبع البشر أن الشيء إذا تكرر يكون في البداية له شوقه وحلاوته ولكن تخبو هذه الحلاوة وهذا الشوق مع تكراره.

فلذا يجب على الحاج أن يجدد شوقه ويراعي أعمال القلوب في الطواف ويسعى جاهدًا للتعبد لله جل وعلا بها في كل مرة استقلالاً وكأنه يطوف أول مرة كي لا يكون لتكرار العبادة أثر على قلبه في ذهاب حلاوة الطواف وما فيه من عبوديات القلب.

مسألة: يجب على المتمتع أن يأتي بعد طواف الإفاضة بسعي الحج على القول الصحيح وهو ركن من أركان الحج، فسعي المتمتع الأول سعي العمرة والسعي الثاني سعي الحج.

وعلى هذا فينبغي للحاج أن يراعي أعمال القلوب في السعي[٢] وألا يكون تكراره سببًا للغفلة عن هذه العبادات ولذتها.

---

(١) يحسن الرجوع إلى موضوع (الطواف بالبيت)، ص (٥١).

(٢) يحسن الرجوع إلى موضوع (السعي بين الصفا والمروة)، ص (٧٢).

وأما القارن والمفرد فإن كان قد أتى بالسعي بعد طواف القدوم فإنه يعتبر سعي الحج ويجزئ عنه فلا يلزمه سعي آخر بعد طواف الإفاضة، وإن لم يكن قد سعى بعد طواف القدوم، فيجب عليه أن يسعى بعد طواف الإفاضة.

فالقارن والمفرد عليه سعي واحد سواءً أتى به مع طواف القدوم أو أخره وأتى به بعد طواف الإفاضة.

## أيام التشريق

أيام التشريق هي الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة.

وسميت هذه الأيام أيام التشريق: لكثرة تشريق اللحم في الشمس فيها بعد تقطيعه وتقديده[١].

ويجب على الحاج فيها أمران:

١ -المبيت ليالي أيام التشريق بمنى.

٢ -رمي الجمرات أيام التشريق الثلاثة، إلا من تعجل في يومين فرمى الجمرات يوم الثاني عشر ثم خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شيء عليه.

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ﴾[البقرة: ٢٠٣].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمة الله تعالى: (الأيام المعدودات: هي أيام التشريق الثلاثة بعد العيد، ذكرها الله تعالى لمزيتها وشرفها، وكون بقية المناسك تفعل بها، ولكون الناس أضيافًا لله فيها، ولهذا حرم صيامها، فللذكر فيها مزية ليست لغيرها، ولهذا قال النبي ﷺ: **(أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله)**[٢]، ويدخل في ذكر الله فيها ذكره عند رمي الجمار، وعند الذبح والذكر المقيد عقب الفرائض، بل

---

(١) انظر (القِرى لقاصد أُم القُرى) لمحب الدين الطبري ص (٥٢٥).

(٢) رواه مسلم رقم (١٤١١).

قال بعض العلماء: انه يستحب فيها التكبير المطلق كالعشر، وليس ببعيد)[١].

قال ﷺ: (**إن أعظم الأيام عند الله يوم النحر ويوم القُرِّ**)[٢].

ويوم القُر هو اليوم التالي ليوم النحر الذي هو أول أيام التشريق، وسمي بذلك لأن الحجاج يقرون فيه بمنى ويقيمون.

ولأيام التشريق عند الله منزلة عظيمة، ولنا فيها معانٍ جليلة:

١ -كثرة ذكر الله جل وعلا في هذه الأيام المباركة بكل أنواع الذكر، فللذكر فيها مزية ليست لغيرها، ومهما حصل من تقصير فيما مضى من أيام قد يُتدارك في هذه الأيام المباركة فالأعمال بخواتيمها.

ولكي يكون للذكر أثر في النفس وحلاوة في القلب، ويختم الحج بخير يجب مراعاة العبادات القلبية كالمحبة والتضرع والخوف وقد ذكرت هذه العبادات في موضوع (المبيت بمزدلفة)[٣]، فيحسن الرجوع إليها، ليعطى الذكر بإذن الله تعالى ثماره، وإذا أُعطى ثماره كان سببًا لإكثار الحاج منه وعدم الانقطاع.

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: (فأيام التشريق يجتمع فيها للمؤمنين نعيم أبدانهم بالأكل والشرب، ونعيم قلوبهم بالذكر والشكر، وبذلك

---

(١) (تيسير الكريم الرحمن) ص (٩٣).

(٢) رواه الترمذي رقم (١٧٦٥)، وصححه الألباني في صحيح (سنن الترمذي) رقم (١٥٥٢).

(٣) موضوع (المبيت بمزدلفة) ص (٨٨).

تتم النعمة، وكلما أحدثوا شكرًا على النعمة كان شكرهم نعمة أخرى فيحتاج إلى شكرٍ آخر ولا ينتهي الشكر أبدًا) [١].

٢ -سُئل جعفر الصادق رحمه الله عن سبب تحريم صيام أيام التشريق للحجاج فقال: (لأنهم في ضيافة الله ولا يجب على الضيف أن يصوم عند من أضافه) [٢].

شعور الحاج أنه ضيف من ضيوف الرحمن وأنه وفده، يجعله يستشعر قربه من ربه وأنسه به وفرحه وسروره به، فيقوى رجاؤه بإجابة دعوته وإقالة عثرته وغفران ذنوبه، فهو ضيف عند أكرم الأكرمين وأجود الأجودين، عند الرحمن الرحيم، ومن أكرم من الله جل جلاله، وهذا الشعور له تأثير كبير على كثرة الذكر، وكثرة الدعاء.

٣ -كثير من الحجاج – هداهم الله – في هذه الأيام المباركة يغفلون عن الذكر، فيشغلون أنفسهم بالاستجمام وبكثرة الكلام والانبساط في الحديث فيما لا طائل وراءه أو الانشغال بالإنترنت أو مواقع التواصل الاجتماعي؛ بل ربما وقع بعضهم في الإثم كالغيبة وغيرها أو مشاهدة واستماع ما لا يجوز النظر إليه والاستماع إليه.

فالإكثار من هذه الأمور لها تأثير على القلب في تكدره وعدم صفائه إن كانت مباحةً، فكيف إذا كانت محرمة؟! ومن جانب آخر لها

---

(١) (لطائف المعارف) ص (٥٠٤).

(٢) (سير أعلام النبلاء) للذهبي (٦/٢٦٥).

تأثير على قبول الحج أو عدمه، وخروج الحاج من ذنوبه كيوم ولدته أمه أو حرمانه من ذلك نسأل اللّه العافية.

فيجب على الحاج أن يشتغل بالذكر في هذه الأيام المباركة ويترك كل مالا فائدة من ورائه أو ما فيه جرح لحجه، فإن الأعمال بخواتيمها، فلعله أن يختم له بخير، إن ربي سميع مجيب.

## الأعمال بخواتيمها

يجب على الحاج في نهاية حجه ألا يخدش حجه بفعل شيء من المحرمات أو التفريط والتقصير فيما بقي من طاعات وواجبات ظاهرة أو باطنة، ليتم ما قام به من خيرات إن كان من المحسنين ولتدارك ما فاته من طاعات إن كان من المخلطين.

أسأل الله جل جلاله أن يختم للجميع في حجهم بخاتمة خير.

وقد أمر الله جل وعلا عباده وحثهم في نهاية الحج على أمور منها:

١ -كثرة الذكر قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[البقرة: ٢٠٠].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (يأمر تعالى بذكره والإكثار منه بعد قضاء المناسك وفراغها [(١)].

٢ -الدعاء فقد ذكر الله جل وعلا الدعاء بعد الإرشاد إلى كثرة الذكر فقال تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٠ -٢٠٢].

---

(١) انظر (تفسير القرآن العظيم) (١/٥٥٧).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (ثم إنه تعالى أرشد إلى دعائه بعد كثرة ذكره، فإنه مظنة الإجابة، وذم من لا يسأله إلا في أمور دنياه، وهو معرض عن أخراه) [١].

والدعاء له عبادات قلبية[٢] كالتضرع والاستكانة وإظهار الافتقار لله جل وعلا وغيرها.

٣ -كثرة الاستغفار في نهاية الحج له أثر كبير في سد ما وقع من نقصٍ أو خللٍ في أداء الطاعات قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٩٩].

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي: ولما كانت هذه الإفاضة يقصد بها ما ذُكر، والمذكورات آخر المناسك أمر تعالى عند الفراغ منها باستغفاره والإكثار من ذكره، فالاستغفار للخلل الواقع من العبد في أداء عبادته وتقصيره فيها، وذِكْرُ اللهِ شُكْرٌ اللهِ على إنعامه عليه بالتوفيق لهذه العبادة العظيمة والمنة الجسيمة.

وهكذا ينبغي للعبد كلما فرغ من عبادةٍ، أن يستغفر الله عن التقصير، ويشكره على التوفيق، لا كمن يرى أنه قد أكمل العبادة، ومنَّ بها على ربه، وجعلت له مَحَلاً ومنزلةً رفيعة، فهذا حقيق بالمقت وردِّ العمل، كما أن الأول حقيق بالقبول والتوفيق لأعمال أُخر) [٣].

---

(١) (تفسير القرآن العظيم) (١/٥٥٨).

(٢) ارجع إن شئت إلى موضوع (يوم عرفة) ففيه العبادات القلبية في الدعاء ص (١٣٧).

(٣) (تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) طبعة مؤسسة الرسالة ص (٩٢-٩٣).

٤ -تقوى الله جل وعلا، فقد أمر الله جل وعلا الحجاج بتقواه في نهاية الحج حيث قال جل وعلا: ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٠٣] (١).

يقول الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري رحمه الله تعالى: (إن الحج لما كان من مكفرات الذنوب ومما لا يتكرر فعله، أكثر الله فيه من وصية عبادة الحجاج بالتزام التقوى في أداء كل شعيرة من شعائره، وأن يكون الحاج متدرعًا بالتقوى قبل التلبس بالحج، وفي أثناء مزاولته لجميع أعمال الحج ليحظى من الله الكريم بتكفير ما سلف من ذنوبه، حتى يرجع من حجه مغفورًا له، مع العلم أن هذا الغفران مشروط بالاستدامة على التقوى حتى لا يحصل منه ما يدنس صحائفه، ويجرح شخصيته المتجددة بالحج.

ولهذا كان ختام الله سبحانه لآيات الحج: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾، وذلك إيجاب من الله على الحاج أن يتقي فيما بقي من عمره، وأن لا تخدعه الأماني ووساوس الشيطان، فيقول: سأكرر الحج حتى يغفر لي مرة ثانية، فإنه لا يدري هل يتمكن مما نوى أو يتوفاه الله وهو مخل بزاد التقوى) (٢).

---

(١) (إغاثة اللهفان) (٥٨/١).

(٢) (الحج أحكامه – أسراره – منافعه) للشيخ عبد الرحمن الدوسري ص (٦٢).

## طواف الوداع

طواف الوداع واجب من واجبات الحج، فيلزم الحاج إن كان من غير أهل مكة أن يكون آخر عهده بالبيت الطواف.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أُمر الناسُ أن يكون أخر عهدهم بالبيت) [١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه حدث (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ثم رقد رقدة بالمحصب، ثم ركب إلى البيت فطاف به)[٢].

وطواف الوداع له في قلب الحاج معانٍ عظيمة، وعبادات قلبية جليلة:

١ -المحبة والشوق: فطواف الوداع يسد جوعة المشتاقين، حيث هو آخر أعمال الحاج، فطواف الوداع له من اسمه نصيب.

والوداع في حياة المحبين له معانٍ خاصة، هذا مع إمكانية اللقاء مرة أخرى، فكيف إذا خشي الانقطاع وعدم اللقاء، لاشك أن الحزن والحنين عنوانه، والبكاء قلمه ومداده.

وهذه قصيدة للأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله تعالى في الحج ذكر في آخرها عن طواف الوداع:

---

(١) رواه البخاري رقم (١٧٥٥).

(٢) رواه البخاري رقم (١٧٥٦).

وباتَ حجيجُ اللّهِ بالبيتِ مُحدقًا ... ورحمةُ ربِ العرشِ ثَمَّتَ تَغْشَاهُ
تَدَاعَتْ رفاقٌ بالرحيلِ فما ترى ... سِوَى دمعِ عينٍ بالدماءِ مَزَجْنَاهُ
لِفُرْقَةِ بيتِ اللّهِ والحَجَرِ الذي ... لأجلهما صَعْبُ الأُمورِ سَلَكْنَاهُ
وَوَدَّعَتِ الحجاجُ بيتَ إلهَا ... وكُلُهُمُ تجري من الحُزنِ عَيْنَاهُ
فللهِ كمْ باكٍ وصاحبِ حَسْرَةٍ ... يَوَدُّ بِأَنَ اللّهَ كان تَوَفْاهُ
فلو تشهدِ التوديعَ يومًا لبيتهِ ... فإنَّ فِراقَ البيتِ مُرٌّ وَجَدْنَاهُ
فما فُرْقَةُ الأولادِ واللّهِ إنَّهُ ... أمَرُّ وأَدْهَى ذاك شيءٌ خَبِرْنَاهُ
فمن لم يُجرِّبْ ليسَ يعرفُ قَدْرَهُ ... فجرِّبْ تجدْ تصديقَ ما قدْ ذَكَرْنَاهُ
لقدْ صَدَعَتْ أكبادُنا وقلوبُنا ... لِمَا نحنُ من مُرِّ الفِرَاقِ شَرِبْنَاهُ
وَوَاللّهِ لولا أنْ نُؤَمِّلَ عودةً ... إليه لذقنا الموتَ حين فُجِعْنَاه[1].

٢ -الخوف: الحاج عند طوافه بالبيت طواف الوداع يتذكر حق الله جل وعلا عليه، ويتذكر تقصيره في حجه، فينتابه الخوف من عدم القبول، فيدفعه الخوف إلى التوبة والاستغفار، والخضوع والانكسار.

٣ -الرجاء: الحاج عند طوافه بالبيت طواف الوداع يتذكر أن الله جل جلاله قد أكرمه بطاعته وأذن له بمناجاته في أشرف البقاع، وأعظم المشاعر، ويسر له حجه، وحرم غيره، فهو مع هذا الكرم الرباني والجود الإلهي يطمع ويرجو أن يقبل الله جل وعلا حجه فيكون جزاؤه الجنة، وأن يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

(١) (قصيدة ذكرى الحج ومنافعه) للأمير الصنعاني، ص (٣١).

فهو يطوف بالبيت والرجاء يملأ قلبه، فهو يقول بحاله ومقاله: رب كما أكرمتني بأن جعلتني ضيفاً من ضيوفك، وأنت الجواد الكريم، فأكرمني بقبول حجي.

٤ -الحياء: يطوف الحاج طواف الوداع والحياء يتجلله، ولسان حاله يقول: رب كيف بي وقد أكرمتني بضيافتك وأعصيك وأقصر في طاعتك عند بيتك وفي محل ضيافتك، فاعفُ عني يا كريم.

فالحاج إذا استحضر هذه العبادات في قلبه حال طوافه وتعبد الله جل وعلا بها حقاً وصدقاً، فإنه حريٌ أن يقبل حجه ويغفر ذنبه، فإن الله جل وعلا جواد كريم.

## الاستقامة بعد الحج

الاستقامة في حياة المسلم أمر مطلوب شرعًا، قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (هود: ١١٢).

وعن عبد الله بن سفيان الثقفي رضي الله عنه قال: قلتُ يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك، قال: (**قل آمنت بالله ثم استقم**)[1].

والاستقامة: هي الأخذ بمجامع الدين، ولزوم العدل في ذلك دون غلوٍ وإفراط أو تقصير وتفريط، والثبات على ذلك.

فالاستقامة لا تكون إلا بأمرين:

أولاً: القيام بأمر الله جل وعلا وأمر رسوله ﷺ ظاهرًا وباطنًا، بلا غلو ولا تفريط.

ثانيًا: الثبات على ذلك حتى الممات.

والحاج يجب عليه أن يلزم نفسه أثناء حجه على الاستقامة ليكون حجه مبرورًا، ولكي يأخذ درسًا تربويًا عمليًا في الاستقامة ليقوى عوده ويستقيم قلبه وتنقاد جوارحه.

كما يجب عليه أن يلزم نفسه الاستقامة بعد حجه تعبدًا لله أولاً ولئلا يخسر ما حاز عليه من أجور وغفران للذنوب.

---

(١) رواه مسلم رقم (٦٢).

ولينظر الحاج الكريم إلى أكابر أصحاب رسول الله ﷺ؛ الذين بشروا بالجنة إما صراحة كالعشرة المبشرين بالجنة وأما ضمنًا كأهل بدر وبيعة الرضوان، فإنهم رضوان الله عليهم قد اجتهدوا في العبادة وسارعوا في الخيرات بعد بشارتهم بالجنة أفضل من ذي قبل، وقد أشار ابن القيم رحمه الله إلى هذا المعنى فيقول: (وكذلك كل من بشره رسول الله ﷺ بالجنة أو أخبره بأنه مغفور له، لم يَفْهَمْ منه هو ولا غيره من الصحابة إطلاق الذنوب والمعاصي له ومسامحته بترك الواجبات، بل كان هؤلاء أشد اجتهادًا وحذرًا وخوفًا بعد البشارة منهم قبلها، كالعشرة المشهود لهم بالجنة، وقد كان الصديق شديد الحذر والمخافة، وكذلك عمر، فإنهم علموا أن البشارة المطلقة مقيدَّة بشروطها والاستمرار عليها إلى الموت، ومقيدة بانتفاء موانعها، ولم يَفهمْ أحدٌ منهم من ذلك الإطلاق والإذن فيما شاءوا من الأعمال)[1].

فإذا كان هذا حال من بشروا بالجنة – حيث كانت استقامتهم على دين الله بعد البشارة أعظم من استقامتهم قبلها، وذلك خوفًا من خسارة تلك البشارة العظيمة – فكيف حال منهم دونهم ممن لم يعلموا أقبل حجهم أم لا؟

وهل خرجوا من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم أم لا ؟

أليس الأولى أن يسيروا على طريقهم، فيستقيموا كما استقام أسلافهم.

---

(١) (الفوائد) ص (٢٣)، طبعة دار علم الفوائد.

قيل للحسن: (الحج المبرور جزاؤه الجنة؟ قال: آية ذلك: أن يرجع زاهدًا في الدنيا راغبًا في الآخرة، وقيل له: جزاء الحج المغفرة؟ قال آية ذلك: أن يدع سيء ما كان عليه من العمل)[1].

ولا يكون العبد زاهدًا في الدنيا راغبًا في الآخرة، وتاركًا لسيء ما كان عليه من العمل إلا بالاستقامة على الدين، والطريق القويم.

(١) (لطائف المعارف) لابن رجب ص (٦٨).

# الخاتمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى.

الحمد لله أولاً وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا، على مايسر لي من جمع ولو كان قليلاً في هذا الموضوع العظيم (أعمال القلوب في الحج والعمرة).

ثم أسأله جل وعلا أن يكون هذا الكتاب خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وشيخي عبد الرحمن بن ناصر البراك وقارئه وأن يعيننا جميعًا وإخواننا الحجاج على القيام بهذه العبادات القلبية على الوجه الذي يرضيه عنا أنه جواد كريم.

وأن يجعل حجنا مبرورًا وسعينا مشكورًا وذنوبنا مغفورةً.

ثم ما كان من صواب فمن الله جل جلاله وحده وله الحمد، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، واستغفر الله العلي العظيم وأتوب إليه.

وعفى الله عمن قال:

حججتُ إلى الرحمن روحي ومهجتي ... فسارت سراعًا والركائب تقدمُ

فعرَّفْتُ أشواقي وأزلفتُ مُنيتي ... وأفضيتُ للرحمن فالله أرحمُ

فيا من له نُسْكي وهدي ووجهتي ... ويا من له البيت العتيق المحرمُ

ويا من له في كل لواء رحمةٌ ... ويا من له في كل دهماء أنعمُ

عفوت لذي الإجرام إذ جاء تائبًا ... وما زلت بالخيرات تسقي وتطعمُ

ومازلت معطاءً حميدًا مُمَجَّدًا ... وما زلت قيومًا تجود وتكرمُ

فيا رب أكرمني بعفوٍ ورحمةٍ ... فداعيك مسكين وأنت المعظمُ

وصل على الهادي البشير وآله ... وصل على الأصحاب ما حج محرمُ

**وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.**

# الفهرس

المقدمة ٣

**الفصل الأول** ٧

**(التمهيد للحج والعمرة)** ٧

أهمية أعمال القلوب في الحج والعمرة ٨

التأهب والتهيؤ قبل السفر للحج والعمرة ١٢

الشوق إلى الحج والعمرة ١٥

**الفصل الثاني** ٢٠

**(أعمال القلوب في الحج والعمرة)** ٢٠

المواقيت ٢١

الإحرام من الميقات ٢٣

(لبيك اللهم لبيك) ٢٧

السر في أن الحجاج والعمار وفد الله جل وعلا وضيوفه ٣٦

سرُّ (الله أكبر) في الحج والعمرة ٣٩

محظورات الإحرام ٤٢

البيت العتيق حرمته والطواف به ٤٨

الطواف بالبيت العتيق ٥١

الحجر الأسود ٥٨

مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام والصلاة خلفه ٦٤

الصلاة خلف مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام ٦٩

السعي بين الصفا والمروة ٧٢

**الفصل الثالث** ٨١

**(أعمال القلوب في الحج)** ٨١

يوم التروية ٨٢
يوم عرفة ٨٣
المبيت بمزدلفة ٨٨
رمي الجمار ٩٧
ذبح الهدي ١٠١
الحلق والتقصير ١٠٦
طواف الإفاضة ١٠٨
أيام التشريق ١١١
الأعمال بخواتيمها ١١٥
طواف الوداع ١١٨
الاستقامة بعد الحج ١٢١
الخاتمة ١٢٤